

## المذاهب الأدبية (مقدمة)

يشكل موضوع (المذاهب الأدبية) قاعدة أساسية لا غنى لأي مثقف عنها، وهي تاريخٌ جوهري لأهم العطاءات الإنسانية الحضارية، ولا بد لكل مشغول في الأدب أن يكون ملماً بمذاهبه وتطوراته والعوامل المؤثرة فيه ومزايا كل مذهب أو مرحلة، ومسوغات نشوئها وتغيّرها..

أما المذاهب الأدبية الغربية فلم تعد مقتصرة على آداب الغرب بقدر ما أضحت معطياتها مائدة عالمية مشتركة، فأدب كل أمة ما هو إلا نتاج إنساني ولا بد له أن يتفاعل ويتواصل ويؤثر ويتأثر بآداب الأمم الأخرى، والأدب العربي أدب أمة هي من أقرب أمم العالم إلى أوروبا، بحكم موقعها الجغرافي وعلاقاتها التاريخية والاقتصادية والثقافية، فلا ريب في أنها تشاركها التفاعل الأدبي أخذاً وعطاءً.

وأن ما يجري هنا، أو هناك، سرعان ما تسري أصداؤه إلى الطرف الآخر، واطلع أدباؤنا ومفكروننا على الآداب الغربية ومذاهبها وما كتب فيها من الدراسات سواء من خلال الاتصال المباشر أو من خلال الترجمة والتأليف، ولا تزال تدرّس في جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا المذاهب الأدبية الغربية، ولا تزال نوالي فيها التأليف والترجمة لتكون لنا عوناً على تفقه الآداب وضوءاً يكشف كثيراً من خصائص أدبنا الحديث والمعاصر والتيارات التي تجري ضمنه وتعمل فيه، فمما لا شك فيه أننا تأثرنا بالآداب الغربية تأثراً كبيراً دون إغفالنا معطيات أصالتنا التراثية المستمرة.

### • مصطلح المذهب الأدبي:

المذهب الأدبي مجموعة من المبادئ الجمالية والفكرية والأخلاقية تشكل في مجموعها لدى شعب من الشعوب، أو لدى مجموعة من الشعوب في فترة معينة من الزمان، تياراً يصبغ النتاج الأدبي والفني بصبغة غالبية تميز ذلك النتاج عما قبله وما بعده في سياق التطور. ويشمل المذهب كل أنواع الإبداع الفني كالآدب والرسم والزخرفة والطرز المعمارية فهو حصيلة فلسفية تبلور نظرة الأمة حول طرائق تعبيرها الفنية.

### • نشأة المذهب الأدبي:

لا يجري الإنتاج الأدبي والفني بمعزل عن المجتمع والبيئة، والمبدع محكوم، إلى حد بعيد، بمحيطة الذي يعيش فيه، ويكون جزءاً منه يبادل التفاعل أخذاً وعطاءً، وتأثراً وتأثيراً، فهو يتأثر بالبيئة الطبيعية التي تحيط به كالجبال والبحار والأنهار والصحارى، هذه البيئة التي يستدعي اختلافها اختلافاً ضرورياً في الواقع البشري من حيث التكوين الجسدي والطباع وضروب المعيشة والرؤى الفكرية والفنية، واللغة وضروب التعبير، ومن جهة أخرى فالمبدع محكوم أيضاً بالبيئة البشرية بكل ما تعنيه من السكون أو الاضطراب، والتجانس أو التشعب، والتنوع والتقلب.

ومن هنا انطلق المذهب التاريخي النقدي الذي غني بدراسة البيئة ومدى تأثيرها في الآداب والفنون وتأثرها بها ودلالة هذه الإبداعات على ملامح البيئة وتصويرها لتياراتها الخفية والظاهرة وإرهاصات المستقبلية، ومن هذا التأثير البيئي العام يتكوّن عفوياً، على صعيدي الممارسة والإنتاج (مذهب) لا تتضح معالمه أول الأمر، بل يحتاج إلى مرور عشرات السنين حتى يأتي الدارسون والنقاد الذين يتأملون تلك الظاهرة وأسبابها وتجلياتها وتطورها ثم يخلصون إلى استخلاص قواعدها وفلسفتها وتحديد معالمها وأعلامها ومصطلحاتها وظروفها المكانية والزمانية، فإذا نحن أمام مدرسة نقدية كاملة تنشأ حول هذا المذهب أو ذاك.

فالمذهب الأدبي إذاً تكوّن جماعي لا يقتصر على فرد بعينه بل يشمل عدداً كبيراً من المبدعين جمعت بينهم ذوقية واحدة وأمزجة متشابهة لوقوعهم تحت تأثير مناخ بيئي عام، والمذهب لا يأتي فجأة فينسخ ما قبله، ولا يزول فجأة أمام موجة مذهبية جديدة، بل يتكون تدريجياً حيث تتعايش آثار المدرسة السابقة والمدرسة الراهنة، ثم تزول الآثار القديمة رويداً رويداً، ثم لا يلبث المذهب أن يتلاشى تدريجياً أمام مدرسة لاحقة، وتتزامن آثار المدرستين لدى كاتب بعينه، في بعض الأحيان، أو لدى عددٍ من الكتاب والمبدعين في فترة واحدة.

وقد يكون للمذهب بعد انطوائه عودة بملامح جديدة، بل قد توجد في وقت واحد ملامح لمدارس عديدة، كما هو الأمر في الأدب العربي الحديث حيث تشاهد معاً اتجاهات المدارس التقليدية والإبداعية والرمزية والواقعية، وذلك لاختلاف الشروط الخاصة التي يخضع لها كلٌّ من الأدباء والمبدعين كتنوع الظروف والثقافات والمستوى الحضاري والتفاعل مع التيارات الجديدة أو الغربية، وسرعة تطوّر الأديب أو تباطؤه في الاستجابة والتلاؤم واختلاف المواهب والمزايا الفردية.

وفي المقالات القادمة سنتناول معاً المذاهب الأدبية الغربية وسنتعرف أسباب نشوء كل مذهب وارتباطه بالمذاهب التي سبقته، وأهم أعلامه، ثم نحيط بأسباب تلاشي المذهب وتمهيده لمذهب جديد، مع إبداء وجهة النظر الإسلامية حول المذهب، وستكون محطتنا الأولى مع المذهب الكلاسيكي من حيث جذوره ويزوغه ومدارسه وأعلامه والعصر الذهبي له، وخصائصه، ووجهة النظر الإسلامية حوله، أملين من الله - عز وجل - أن نجد في هذه المقالات ما يغني ثقافتنا ويزيدنا دعماً في سبيل المعرفة الأدبية، التي تعزز وعينا لطبيعة الأدب وآفاقه.

المذاهب والتيارات الأدبية :

الإسلامية في الأدب

التعريف :

● الإسلامية (في الأدب) هي انطلاق الأديب في العملية الإبداعية من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده، وتبين إيجابيته عند معالجة قضايا العصر والحياة، التي ينفعل بها الأديب انفعالاً مستمراً، فلا يصدر عنه إلا نتاج أدبي منفق مع أخلاق الإسلام وتصورات ونظراته الشاملة للكون والحياة والإنسان، في إطار من الوضوح الذي يبيلور حقيقة علاقة الإنسان بالأديان(\*)، وعلاقته بسائر المخلوقات فرادى وجماعات، وبشكل لا يتصادم مع حقائق الإسلام، ولا يخالفها في أي جزئية من جزئياتها ودقائقها.

● معيار الإسلامية:

- ينطوي التعريف المتقدم، على مجموعة معايير متكاملة، يؤدي توافرها إلى صيرورة العمل الأدبي متسماً بالإسلامية، وبعض هذه المعايير موضوعي يتعلق بجوهر العمل وبعضها عضوي أو شكلي يتعلق بإطار التعبير عن العمل، بحيث يتفاعل كل منهما مع الغاية من العمل الأدبي الممثل للإسلامية، وأهم هذه المعايير: الالتزام والمصداقية والوضوح والإيجابية والقدرة والاستمرارية.

1- الالتزام :

ويعني وجوب تقيد الأديب بإشاعة الرؤية العقدية في تيار العمل الأدبي المتدفق خدمة للعقيدة والشريعة(\*) والقيم الإسلامية والأخلاق (\*) وكليات الإسلام ومقاصده، وأهدافه العامة وبشرط ألا يخالف الإحساس الفطري بحقائق الإسلام.

2- المصداقية:

وتعني قدرة الأديب على إعطاء المتلقي إحساساً صادقاً في كافة أعماله الأدبية بأنها قد صدرت عن تصور إسلامي، ودعوة إلى مكارم الأخلاق، وإشاعة الخير والمعروف، ونأي عن كل ما هو منكر وغير مألوف

في الوجدان الإسلامي، فإذا كانت بعض أعمال الأديب فقط هي التي تتسم بالمصادقية الإسلامية، فإن ذلك لا يكفي لرفعه إلى مصاف أنصار الإسلامية.

### 3- الوضوح :

الإسلامية جوهر ومظهر، أو مضمون وشكل، لذا يجب أن يكون مضمون العمل وشكله معاً من الوضوح، في الدلالة على الإسلامية، بحيث يتسنى لأي متلقٍ، أن يصنف الأديب، بسهولة، ضمن أنصار الإسلامية، بمجرد إطلاعه على مجمل أعماله.

### 4- الإيجابية:

وتعني أنه لا يكفي في الأديب المنتمي إلى الإسلامية، أن يلتزم بالتصور العقدي الإسلامي، ولا يخالفه، بل يجب عليه فضلاً عن ذلك، أن يكون إيجابياً في توجهه، فيقف مع الإسلام، ويدافع عنه، ويتصدى لمناهضيه، فكراً وقولاً وعملاً وسلوكاً، فالإسلامية تستلزم اتخاذ الأديب موقفاً لا تدع ظروف الحال شكاً في دلالته على دفاع صاحبه عن عقيدته في كل الظروف والأحوال.

### 5- القدرة :

وتعني قدرة الأديب على إفراغ العمل الأدبي في الإطار الشكلي الذي يخدم الموضوع، ويناسب المضمون، ويشد القارئ ويقنع المتلقي بوجه عام.

### 6- الاستمرارية:

وتعني وجوب قيام الأديب المنتمي للإسلامية بتعميق انتمائه باستمرار، فإن أصبح غير قادر على العطاء الإسلامي، فيجب ألا يصدر عنه ما يعارض صراحة أو ضمناً أعماله السابقة التي تتسم بالإسلامية، وقد يكون للاستمرارية معنى أخص، بالنسبة لمن كانوا غير ملتزمين من قبل ثم انضموا للإسلامية، إذ تعني الاستمرارية عدم عودتهم إلى مثل ما كانوا عليه قبل التزامهم، وقد نلمح هذا عند كعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهما من الشعراء المخضرمين(\*) .

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

#### ● كعب بن زهير رضي الله عنه :

من الممكن توسيع دائرة الإسلامية في الأدب لتبدأ بكعب بن زهير، ذلك أن الإسلامية إطار عام، لا يمكن نسبته إلى شخص بعينه أو زمن بعينه في العالم الإسلامي، وعندما جاهد بعض علماء الإسلام في سبيل تكوين مدرسة للأدب الإسلامي فإنهم في الحقيقة، كانوا يريدون التعبير عن مضمون أعمق من مجرد الإطار الشخصي هو النزعة الإسلامية في الأدب أو في كلمة واحدة "الإسلامية Islamism" وهي نزعة يمكن أن نلمحها من لحظة إلقاء رسول(\*) الله ﷺ بردته على كعب بن زهير عندما أنشده قصيدته اللامية في مدحه ﷺ ، فسر بالتزامه ومصادقته، وصح له الشطرة التي تقول: "مهند من سيوف الهند مسلول" إلى "مهند من سيوف الله مسلول" فهذا شعر ذو هدف نبيل وغاية شريفة في مجال الدعوة بلا غلو (\*) ولا تجاوز، وهي نزعة حبها الزمخشري في الكشاف بعبارة جلية.

#### ● حسان بن ثابت رضي الله عنه:

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ، وكان من الشعراء المخضرمين(\*) الذين حضروا الجاهلية(\*) والإسلام، وقد أسلم مع السابقين من الخزرجين، ومنذ شرح الله صدره للإسلام وهو شاعر العقيدة الذي يسجل أحداث المسلمين، ويمجد غزوات الرسول، ويرد على شعراء المشركين بجزالة، قال النثر(\*) والنظر في بيان عظمة الإسلام والدعوة إلى التأدب بأدابه والعمل بأحكامه ، وقد سفه قريشاً في أشعاره، ونوّه بالقرآن الكريم كمصدر أول للتشريع الإسلامي وأساساً لشريعة الحق ونبي الهدى، وبين بجلاء دور الأدب

في بيان حقائق الإسلام، وقال أفضل أشعاره يوم قريظة وفي غزوة الأحزاب وفي رثائه لنبينا محمد ﷺ بين أن قيمة الإسلام تكمن في التوحيد.

● عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

كان أحد شعراء الرسول ﷺ الثلاثة الذين نافحوا عن الرسالة، ورغم أنه استشهد في السنة الثامنة من الهجرة(\*)، وأن ما وصل إلينا من شعره كان قليلاً، إلا أن ما كتبه كان يجسد أهم قيم الإسلام كالشجاعة النابعة من أعماقه، والحب لرسول الله ﷺ، والحرص على التمسك بالدين والدفاع عنه، وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، ولذا فقد كان عبد الله بن رواحة - بحق - رائد شعر الجهاد(\*) الإسلامي، تشهد على ذلك أشعاره. يقول الدكتور محمد بن سعد الشوبعر: "من اللغات النبوية الكريمة استمد عبد الله بن رواحة التوجه إلى الطريق الأمثل، الذي يجب أن يسلكه الشعر الإسلامي، والإطار الذي يحسن أن يبرز فيه: صدق في التعبير، وسلامة في المقصد، وعدم الفحش في ذكر المثالب، أو النيل من الأعراض، واعتدال في القول".

● عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ربما كان العقاد من أكثر الكتاب التزاماً بالإسلامية في الأدب، في مواجهة تيار التغريب الذي قاده طه حسين، ولذا فإن كلام العقاد له وزنه في هذا الصدد ومما قاله في عبقرية عمر:

كان عمر بن الخطاب أديباً مؤرخاً فقيهاً (ص 344) عظيم الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية، وكان يروي الشعر ويتمثل به، ولم يزل عمر الخليفة هو عمر الأديب طوال حياته، لم ينكر من الشعر إلا ما ينكره المسؤول عن دين(\*)، أو القاضي المتحرز الأمين، ولذا فقد نهى عن التشبيب بالمحصنات، ونهى عن الهجاء، وأعجبه الأشعار التي تنطوي على معان سامية، دعى إليها الإسلام، وكان يرى أن للشعر غاية تعليمية تربوية فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري قائلاً: مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب.. وقال لابنه يا بني.. احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك.. فإن من لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترف أدباً.

وفي معايير الإسلامية قال: "ارووا من الشعر أعفه ومن الحديث أحسنه.. فمحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنتهي عن مساوئها".

ومما يؤكد تصور الإسلام في الأدب عنده رضي الله عنه، أنه عزل النعمان بن عدي عندما تجاوز في شعره غايات الإسلام ومقاصده، بالرغم من أنه كان أحد ولاته، ولم يقبل اعتذاره وتعلله بأنه مجرد شاعر ولم يصنع شيئاً مما رواه في إحدى قصائده المبنية على الغزل الفاحش، كما سجن الحطيئة عندما هجا الزبرقان بن بدر، فلم يكن لمثل عمر أن يفعل غير ذلك فالإسلامية التزام إجباري إن صح التعبير، وإذا كانت الإسلامية التزام فإنها تستلزم المسؤولية.

● عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

يعتبر عمر بن عبد العزيز من أبرز مؤسسي الإسلام على الإطلاق لأنه لم يكتف بالحديث عن وجوب الالتزام والتقيد التام بالإسلام عند مباشرة المعالجة الأدبية، بل قدم أسلوباً عملياً لذلك، في موقف كان يمكن أن يتقبل فيه الناتج الأدبي المنطوي على مدحه ولكنه قدم درساً تطبيقياً في الحيلولة دون تخطي الأدب غاية الإسلام فقد منع الشعراء أن يمدحوه، فلما ألح عليه كثير بن عبد الرحمن في إنشاده، وضع معيار الحقيقة كأساس لقبول سماع الإبداع الشعري، فقد قال لكثير: نعم. ولا تقل إلا حقاً.

ومما يؤكد عدم تساهل عمر بن عبد العزيز في التزام الأدب بالأخلاق(\*) والأهداف السامية قصته المشهورة مع الشعراء عندما تولى الخلافة(\*) وقيل له إنهم بالباب يريدون المثل بين يديه. وعندما توسط أحد جلسائه للشعراء وأخبره أن الرسول ﷺ، قد سمع الشعر وأجاز الشعراء سأل من بالباب من الشعراء،

وعندما أخبر بأسمائهم رفضهم واحداً تلو الآخر مع تبيان أسباب الرفض باستشهاد من أشعارهم ولم يدخل إلا جريراً حيث وجده أقل المجموعة فحشاً.

الأفكار والمعتقدات:

- جعل التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة، أهم أركان العمل الأدبي أيّاً كان نوعه. الالتزام بالتصور الإسلامي، لا يعني التوجيه القسري على غرار ما يفرضه أصحاب التفسير المادي للتاريخ(\*) وإنما هو أخذ النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة في سائر فنون الأدب، وبذا تتميز الإسلامية عن فكرة الالتزام عند كل من الواقعية والاشتراكية(\*) والوجودية، فالالتزام عند الأولى هو الالتزام بقضايا الجماهير حسب المفهوم الماركسي المنهار، والالتزام عند الثانية – في النثر فقط دون الشعر – بقضايا الحرية حسب المفهوم الوجودي فحسب.
- التعبير المؤثر، له أهمية في مجال الأدب ولا يستغني عنه بحجة سلامة المضمون، وبذلك يتميز الأدب عن الكلام العادي، فذلك مما يحقق غاية الإسلامية.
- وغاية الإسلامية هي وجود أدب هادف، فالأديب المسلم لا يجعل الأدب غاية لذاته كما يدعو أصحاب مذهب: (الفن للفن) وإنما يجعله وسيلة إلى غاية، وهذه الغاية تتمثل في ترسيخ الإيمان بالله عز وجل، وتأسيس القيم الفاضلة في النفوس.

- حرية التفكير والتعبير من متطلبات الإبداع(\*) والصدق الأدبي وهي وسيلة لإثراء الأدب كماً وكيفياً.
- وقد وضع الإسلام حدوداً للحرية(\*) في كل مجالاتها، ومنها مجال الأدب إذ إنه لا يعترف بحرية القول التي منحت للأدباء وغيرهم إذ رأى فيها خطراً يهدد سلامة المجتمع وأمنه العقدي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.
- الأدب طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح وأداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية.
- الإسلامية حقيقة قائمة قديماً وحديثاً وهي تبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوي، ومعركة شعراء الرسول(\*) ﷺ مع كفار قريش، وتمتد إلى عصرنا الحاضر لتسهم في الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمنحرفين عنه.
- الإسلامية هي أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها، وخصائصها هي الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الإسلامية كلها.
- ترفض الإسلامية أي محاولة لقطع الصلة بين الأدب القديم والأدب الحديث بدعوى التطور أو الحداثة أو المعاصرة وترى أن الأدب الحديث مرتبط بجذوره القديمة.
- ترفض الإسلامية المذاهب(\*) الأدبية التي تخالف التصور الإسلامي والأدب العربي المزور، والنقد الأدبي المبني على المجاملة المشبوهة أو الحقد الشخصي، كما ترفض اللغة التي يشوبها الغموض وتكثر فيها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة وتدعو إلى نقد واضح بناء.
- تستفيد الإسلامية من الأجناس الأدبية جميعها شعراً ونثراً ولا ترفض أي شكل من أشكال التعبير، وتعني بالمضمون الذي يحدد طبيعة الشكل الملائم للأداء.
- والإسلامية في الأدب تأبى الانحراف عن القيود الواردة في تعريف الإسلامية، فهي كما يقول أحد الباحثين تأبى مثلاً "تأليه الإنسان (كلاسيكياً)، وإغراقه الذاتي الأناني (رومنسياً)، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيًا)، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجوديًا)" فليس ثمة عبث وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى (سارتر) وليس ثمة تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهي دائماً بالضياع كما يرى (ديستوفيسكي).

- والإسلامية إطار واقعي للعمل الأدبي، فهي ليست مجالاً لتحقيق الخيال الجامح أو التعبير عن شطحات منبثة الصلة بالواقع، وواقع الإسلامية أنها فكرة غائبة عقديّة، وغايتها ليست تحقيق مصلحة ذاتية أو شخصية كإطار للبراجماتية وإنما تحقيق مصلحة العقيدة وكل من يتمسك بهذه العقيدة، فالإسلامية إطار للحقيقة لا الزيف والاستقامة لا الانحراف، ذلك أنها تدور مع وجود المسلم، وللوجود الإنساني غاية إسلامية

كبرى هي الكدح والعمل والعبادة {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: 115]   
 {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: 39] وهذه الواقعية توجد في القرآن الكريم ذاته، فأحد معجزاته أنه   
 قدم أمثلة علياً للأداء الفني المتجانس في القصة وغيرها وما قصة يوسف عليه السلام عنا ببعيد.

● والإسلامية ليست قيدياً على الإبداع(\*) وإنما هي إطار موضوعي وشكلي لتحسين العمل الأدبي من   
 الإسفاف الذي قد يقضي على الأديب، أما التحرر المطلق من كل القيم الذي ينهي وجود الأديب، أو الخروج   
 عن منطق الأدب ذاته، فهذا أمر يفرغ العمل الأدبي من مضمونه، فمنطق الإسلام، ينبثق من حضارة   
 إسلامية، تتيح للأديب فرصة التعبير عن كل ما يجول بخاطره، فيطرح المضمون الذي يريد في الشكل الذي   
 يريد طالما كان في إطار التصور الإسلامي.

● وترتيباً على ما تقدم فإن الإسلام تختلف عن سائر المضمونات الدينية البعيدة عن العقيدة الإسلامية   
 سواء كانت دينية سماوية أو دينية وضعية، ولذا فإن الانفتاح على الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال   
 وجدان إسلامي راق وحسن إنساني مرفه، للتخفيف من هموم الإنسان ومعاناته لا دفعه في أتون الصراع   
 اللانهائي بين العيب واللامعقول، والعدمية والوجودية، وغيرها من المذاهب التي لا تروي الظمأ الديني لدى   
 المتلقي ولا تسمو بأحاسيسه ومشاعره، بل تلغي له الزمن في العمل الأدبي، وتفكك له الأحداث، وتلغي له   
 الشخصيات، وتمس جوهر العمل، فمسح العمل أو تشويهه ليس من طبيعة الإسلام.

بل إن هذا العمل لا يمكن أن يرتطم بطبائع الأمور ولا النظرة الإسلامية للكون والحياة والوجود، ومن أجل   
 هذا فإنه وإن كان لا يجوز دمج الإسلام في غيرها من المذاهب إلا أن الإسلام لا تأبى التعايش مع أي   
 نتاج أدبي عالمي، طالما لم تهدم الحواجز بين الأمرين، فخصوصية الإسلام أنها وليدة الزمن والمكان،   
 وأنها نسيج لقاء العقيدة بالإنسان، ولذا فإنها عالمية الأثر، كونية الرؤية، شمولية النزعة، توفق بين المنظور   
 الواقعي والغيب اللامرئي، وتوائم بين المادي والروحي، وتجانس بين الثابت والمتغير، ولا يوجد فيها أي   
 تنافٍ لوجود المحدود مع المطلق، ومعالجة الجزئي مع الكلي، طالما أن الهدف الأساسي للإسلامية هو صنع   
 عالم سعيد لبني البشر، يعينهم على تجاوز متاعبهم، ويزيل المتاريس التي تقف أمام انطلاق عقيدتهم. ومن   
 أمثلة هذه المتاريس النتاج الأدبي المتأثر بالنصرانية والذي نجده عند لويس شيخو، وسلامة موسى، وغالي   
 شكري، ولويس عوض، وإيليا حاوي، وخليل حاوي، وسعيد عقل، وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم، وقد تأثر   
 بهم بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وغيرهم.

- والإسلامية كبنیان أدبي عقدي، تجد في الإسلام مجالاً رحباً، يقدم الأدباء من خلاله فكرهم البناء،   
 وسلوكهم الهادف، وتصورهم الصائب، وقضايا الإنسان التي تحتاج إلى معالجة. والإسلامية تجعل كل هذه   
 الأمور ذات بنیان متجانس السمات، غير متنافر الأهداف والغايات، ولا حجر في أن تكون الإسلامية فكرة   
 عقديّة، فليس المطلوب منا أن نذوب في غيرنا أو أن نكون انعكاساً لحقائق أو أوهام تزرع في غير تربتنا،   
 وحسبنا أن نعود إلى ماضيها لنذكر عظمة توجيه الرسول(\*) ﷺ الشعراء إلى الدفاع عن المجتمع المسلم   
 والجهاد بالكلمة، ولنعي أن البنية الخلقية الإسلامية.. أحدثت انقلاباً عميقاً في النفوس، ولذا عاشت الإسلام   
 وأمكن استخلاصها من بطون الكتب، وكانت توجيهات الخلفاء الراشدين للشعراء بالالتزام بالبنية الأخلاقية   
 الإسلامية، وفي العصر العباسي علت دعوة أبي العتاهية إلى الزهد، وهكذا.

## الكلاسيكية

### التعريف :

الكلاسيكية مذهب(\*) أدبي، ويطلق عليه أيضاً "المذهب الإتياعي" أو المدرسي.. وقد كان يقصد به في

القرن الثاني الميلادي الكتابة الأرسنقراطية(\*) الرفيعة الموجهة للصفوة المتففة الموسرة من المجتمع الأوروبي.

أما في عصر النهضة(\*) الأوروبية، وكذلك في العصر الحديث: فيقصد به كل أدب يبلور المثل الإنسانية المتمثلة في الخير والحق والجمال "وهي المثل التي لا تتغير باختلاف المكان والزمان والطبقة الاجتماعية" وهذا المذهب له من الخصائص الجيدة ما يمكنه من البقاء وإثارة اهتمام الأجيال المتعاقبة. ومن خصائصه كذلك عنايته الكبرى بالأسلوب والحرص على فصاحة اللغة وأناقة العبارة ومخاطبة جمهور مثقف غالباً والتعبير عن العواطف الإنسانية العامة وربط الأدب بالبداءء الأخلاقية وتوظيفه لخدمة الغايات التعليمية واحترام التقاليد الاجتماعية السائدة.

## التأسيس وأبرز الشخصيات:

- يعد الكاتب اللاتيني أولوس جيلوس هو أول من استعمل لفظ الكلاسيكية على أنه اصطلاح مضاد للكتابة الشعبية، في القرن الثاني الميلادي.
- وتعد مدرسة الإسكندرية القديمة أصدق مثال على الكلاسيكية التقليدية، التي تنحصر في تقليد وبلورة ما أنجزه القدماء وخاصة الإغريق دون محاولة الابتكار والإبداع(\*).
- وأول من طور الكلاسيكية الكاتب الإيطالي بوكاتشيو 1313-1375م فألغى الهوة بين الكتابة الأرسنقراطية والكتابة الشعبية، وتعود له أصول اللغة الإيطالية المعاصرة.
- كما أن رائد المدرسة الإنكليزية شكسبير 1564-1616م طور الكلاسيكية في عصره، ووجه الأذهان إلى الأدب الإيطالي في العصور الوسطى ومطالع عصر النهضة(\*).
- أما المذهب الكلاسيكي الحديث في الغرب، فإن المدرسة الفرنسية هي التي أسسته على يد الناقد الفرنسي نيكولا بوالو 1636 – 1711م في كتابه الشهير فن الأدب الذي ألفه عام 1674م. حيث قنن قواعد الكلاسيكية وأبرزها للوجود من جديد، ولذا يعد مُنظر المذهب(\*) الكلاسيكي الفرنسي الذي يحظى باعتراف الجميع.
- ومن أبرز شخصيات المذهب الكلاسيكي في أوروبا بعد بوالو:

- الشاعر الإنكليزي جون أولدهام 1653 – 1773م وهو ناقد أدبي ومن المؤيدين للكلاسيكية.

## الأفكار والمعتقدات:

- يقوم المذهب الكلاسيكي الحديث، الذي أنشأته المدرسة الفرنسية مؤسسة المذهب على الأفكار والمبادئ التالية:
- تقليد الأدب اليوناني والروماني في تطبيق القواعد الأدبية والنقدية وخاصة القواعد الأرسنقراطية في الكتابين الشهيرين: فن الشعر وفن الخطابة لأرسطو.
- العقل(\*) هو الأساس والمعيار لفلسفة الجمال في الأدب، وهو الذي يحدد الرسالة الاجتماعية للأديب والشاعر، وهو الذي يوحد بين المتعة والمنفعة.

- الأدب للصفوة المثقفة الموسرة وليس لسواد الشعب، لأن أهل هذه الصفوة هم أعرف بالفن والجمال، فالجمال الشعري خاصة لا تراه كل العيون.

- الاهتمام بالشكل وبالأسلوب وما يتبعه من فصاحة وجمال وتعبير.

- تكمن قيمة العمل الأدبي في تحليله للنفس البشرية والكشف عن أسرارها بأسلوب بارع ودقيق وموضوعي، بصرف النظر عما في هذه النفس من خير أو شر.

- غاية الأدب هو الفائدة الخلقية من خلال المتعة الفنية، وهذا يتطلب التعلم والصناعة، ويعتمد عليها أكثر مما يعتمد على الإلهام والموهبة.

● وازدهر المذهب الكلاسيكي في الأدب والنقد بعد القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي.

1) الكلاسيكية الحديثة

تطورت الكلاسيكية في الوقت الحاضر إلى ما أطلق عليه النقاد (النيوكلاسيكية) أو الكلاسيكية الحديثة، والتي حاولت أن تنظر إلى الأمور نظرة تجمع بين الموضوعية الجامدة للكلاسيكية القديمة والذاتية المتطرفة للرومانسية الجديدة. وقد بدأت هذه المدرسة في الظهور على يد كل من ت. س. اليوت الكاتب والأديب الأمريكي، وأ. ريتشاردز وغيرهم من النقاد المعاصرين.

## الانتشار ومواقع النفوذ

● تعد فرنسا البلد الأم لأكثر المذاهب الأدبية والفكرية في أوروبا، ومنها المذهب الكلاسيكي، وفرنسا – كما رأينا – هي التي قننت المذهب ووضعت له الأسس والقواعد النابعة من الأصول اليونانية.

● ثم انتشر المذهب (\*) في إيطاليا وبريطانيا وألمانيا.. على يد كبار الأدباء مثل بوكاتشيو وشكسبير.

## الرومانسية

### التعريف :

● الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب (\*) أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة أياً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً، مع فصل الأدب عن الأخلاق (\*). ولذا يتصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير، وإطلاق النفس على سجيتها، والاستجابة لأهوائها. وهو مذهب متحرر من قيود العقل (\*) والواقعية اللذين نجدهما لدى المذهب الكلاسيكي الأدبي، وقد زحرت بتيارات لا دينية وغير أخلاقية.

- ويحتوي هذا المذهب على جميع تيارات الفكر التي سادت في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي



وأوائل القرن التاسع عشر.

- والرومانسية أصل كلمتها من : رومانس romance باللغة الإنجليزية ومعناها قصة أو رواية تتضمن مغامرات عاطفية وخيالية ولا تخضع للرغبة العقلية المتجردة ولا تعتمد الأسلوب الكلاسيكي المتأنق وتعظم الخيال المجنح وتسعى للانطلاق والهروب من الواقع المرير، ولهذا يقول بول فاليري: "لا بد أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانسية".

## التأسيس وأبرز الشخصيات:

- بدأت الرومانسية في فرنسا عندما قدّم الباحث الفرنسي عام 1776م ترجمة لمسرحيات شكسبير إلى الفرنسية، واستخدم الرومانسية كمصطلح في النقد الأدبي.
- ويعد الناقد الألماني فريدريك شليجل أول من وضع الرومانسية كمنقيض للكلاسيكية.
- ثم تبلورت الرومانسية كمذهب أدبي، وبدأ الناس يدركون معناها الحقيقي التجديدي وثورتها ضد الكلاسيكية.
- وترجع الرومانسية الإنكليزية إلى عام 1711م ولكن على شكل فلسفة فكرية.. ونضجت الرومانسية الإنكليزية على يد توماس جراي وويليام بليك.
- ولا شك أن الثورة(\*) الفرنسية 1798م هي أحد العوامل الكبرى التي كانت باعثاً ونتيجة في آن واحد للفكر الرومانسي المتحرر والمتمرد على أوضاع كثيرة، أهمها الكنيسة(\*) وسطوتها والواقع الفرنسي وما فيه.
- وفي إيطاليا ارتبط الأدب بالسياسة عام 1815م وأصبح اصطلاح رومانسي في الأدب يعني ليبراليا (أي: حراً أو حرية) في السياسة.
- ومن أبرز المفكرين والأدباء الذين اعتنقوا الرومانسية:
- المفكر والأديب الفرنسي جان جاك روسو 1712 – 1788م ويعد رائد الرومانسية الحديثة.
- الكاتب الفرنسي شاتو بريان 1768 – 1848م ويعد من رواد المذهب الذين ثاروا على الأدب اليوناني القائم على تعدد الآلهة.
- مجموعة من الشعراء الإنكليز، امتازوا بالعاطفة الجياشة والذاتية والغموض رغم أنهم تغنوا بجمال الطبيعة وهم : توماس جراي 1716 – 1771م ووليم بليك 1757 – 1927م وشيلي 1762 – 1822م كيتش 1795 – 1821م وبايرون 1788 – 1824م.
- الشاعر الألماني جوته 1749 – 1832م مؤلف رواية آلام فرتر عام 1782م وفاوست التي تظهر الصراع بين الإنسان والشيطان.
- الشاعر الألماني شيلر 1759 – 1805م ويعد أيضاً من رواد المذهب(\*).
- الشاعر الفرنسي بودلير 1821 – 1867م الذي اتخذ المذهب الرومانسي في عصره شكل الإلحاد(\*)

بالدين(\*)).

## الأفكار والمعتقدات :

● لقد كانت الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية، وهذا ما نراه واضحاً من خلال أفكارها ومبادئها وأساليبها التي قد لا تكون واحدة عند جميع الرومانسيين، ويمكن إجمال هذه الأفكار والمبادئ فيما يلي:

- الذاتية أو الفردية: وتعد من أهم مبادئ الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل، وأحياناً الثورة على المجتمع. فضلاً عن التحرر من قيود العقل والواقعية والتخليق في رحاب الخيال والصور والأحلام.

التركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي، لذلك لا تهتم الرومانسية بالأسلوب المتأنق، والألفاظ اللغوية القوية الجزلة.

تنزع بشدة إلى الثورة وتتعلق بالمطلق واللامحدود.

- الحرية الفردية أمر مقدس لدى الرومانسية، لذلك نجد من الرومانسيين من هو شديد التدين مثل: شاتوبريان ونجد منهم شديد الإلحاد مثل شيلي. ولكن معظمهم يتعالى على الأديان والمعتقدات والشرائع التي يعدها قيوداً.

- الاهتمام بالطبيعة(\*)، والدعوة بالرجوع إليها حيث فيها الصفاء والفطرة السليمة، وإليها دعا روسو.

- فصل الأدب عن الأخلاق، فليس من الضروري أن يكون الأديب الفذ الخلق. ولا أن يكون الأدب الرائع خاضعاً للقوانين الخلقية.

- الإبداع(\*) والابتكار القائمان على إظهار أسرار الحياة من صميم عمل الأديب، وذلك خلافاً لما ذهب إليه أرسطو من أن عمل الأديب محاكاة الحياة وتصويرها.

- الاهتمام بالمرسح لأنه هو الذي يطلق الأخيذة المثيرة التي تؤدي إلى جيشان العاطفة وهيجانها.

- الاهتمام بالأداب الشعبية والقومية، والاهتمام باللون المحلي الذي يطبع الأديب بطابعه، وخاصة في الأعمال القصصية والمسرحية.

## الجزور الفكرية العقائدية:

● تعد الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية المتشددة في قواعدها العقلية والأدبية، وكذلك ثورة ضد العقائد اليونانية المبنية على تعدد الآلهة(\*)... ومن جذور هذه الثورة ظهور التيارات الفلسفية التي تدعو إلى التحرر من القيود العقلية والدينية والاجتماعية. فضلاً عن اضطراب الأحوال السياسية في أوروبا بعد الثورة(\*) الفرنسية الداعية إلى الحرية(\*) والمساواة وما يتبع ذلك من صراع على المستعمرات، وحروب داخلية.. كل هذه الأمور تركت الإنسان الأوروبي قلقاً حزيناً متشائماً، فانتشر فيه مرض العصر، وهو الإحساس بالكآبة والإحباط ومحاولة الهروب من الواقع، وكان من نتيجة ذلك ظهور اتجاهات متعددة في الرومانسية، إذ توغلت في العقيدة والأخلاق(\*) والفلسفة(\*) والتاريخ والفنون الجميلة.

- ودخلت الرومانسية في الفلسفة وتجلت في نظرية الإنسان الأعلى (السوبرمان) عند نيتشة 1844 -

1900م ونظرية الوثبة الحيوية عند برغسون 1859 – 1941م.

## ● الرومانسية الجديدة:

● انحسرت الرومانسية في مطلع القرن العشرين عندما أعلن النقاد الفرنسيون هجومهم عليها – وذلك لأنها تسلب الإنسان عقله ومنطقه – وهاجموا روسو الذي نادى بالعودة إلى الطبيعة (\*). وقالوا: لا خير في عاطفة وخيال لا يحكما العقل (\*) المفكر والذكاء الإنساني والحكمة الواعية والإرادة المدركة.

وكان من نتيجة ذلك نشوء الرومانسية الجديدة ودعوتها إلى الربط بين العاطفة التلقائية والإرادة الواعية في وحدة فكرية وعاطفية، ومن ثم نشأت الرومانسية الجديدة حاملة معها أكثر المعتقدات القديمة للرومانسية.

## ● تعقيب :

ومن وجهة النظر الإسلامية فإن أي تيار أدبي لا بد أن يكون ملتزماً بالدين(\*) والأخلاق كجزء من العقيدة، وإذا كانت ملازمة الحزن والتعبير عنه لها سلبيات كثيرة، فإن الإسلام يتطلب من معتنقيه مواجهة الظروف التي يتعرضون لها بشجاعة والتسليم بقضاء الله وتلمس الأسباب للخروج من الأزمات دون يأس أو إحباط، وكل إنسان مسئول عن تصرفاته ومحاسب عليها بين يدي الله، طالما كان يملك أهلية التصرف، أما المكره فهو معذور وتسقط عنه الأوزار فيما يرتكبه قسراً، ولكنه لا يعذر في التعبير الحر عما ينافي العقيدة ويتعارض معها.

## الرمزية

### التعريف :

● الرمزية مذهب(\*) أدبي فلسفي ملحد، يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة أو التلميح.

- والرمز معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها أو لا يراد التعبير عنها مباشرة.

- ولا تخلو الرمزية من مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها؛ متسترة بالرمز والإشارة.

- وتعد الرمزية الأساس المؤثر في مذهب الحداثة الفكري والأدبي الذي خلفه.

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

● رغم أن استعمال الرمز قديم جداً، كما هو عند الفراعنة واليونانيين القدماء إلا أن المذهب الرمزي

بخصائصه المتميزة لم يعرف إلا عام 1886م حيث أصدر عشرون كاتباً فرنسياً بياناً نشر في إحدى الصحف يعلن ميلاد المذهب الرمزي، وعرف هؤلاء الكتاب حتى مطلع القرن العشرين بالأدباء الغامضين. وقد جاء في البيان: إن هدفهم "تقديم نوع من التجربة الأدبية تستخدم فيها الكلمات لاستحضار حالات وجدانية، سواء كانت شعورية أو لا شعورية، بصرف النظر عن الماديات المحسوسة التي ترمز إلى هذه الكلمات، وبصرف النظر عن المحتوى العقلي الذي تتضمنه، لأن التجربة الأدبية تجربة وجدانية في المقام الأول".

- ومن أبرز الشخصيات في المذهب الرمزي في فرنسا وهي مسقط رأس الرمزية:  
- الأديب الفرنسي بودلير 1821 – 1967م وتلميذه رامبو.  
- ومالاراميه 1842 – 1898م ويعد من رموز مذهب الحداثة أيضاً.

## الأفكار والمعتقدات :

من الأفكار والآراء التي تضمنتها الرمزية:

- الابتعاد عن عالم الواقع وما فيه من مشكلات اجتماعية وسياسية، والجنوح إلى عالم الخيال بحيث يكون الرمز هو المعبر عن المعاني العقلية والمشاعر العاطفية.
- البحث عن عالم مثالي مجهول يسد الفراغ الروحي ويعوضهم عن غياب العقيدة الدينية، وقد وجد الرمزيون ضالتهم في عالم اللاشعور والأشباح الأرواح.
- اتخاذ أساليب تعبيرية جديدة واستخدام ألفاظ موحية، تعبر عن أجواء روحية، مثل لفظ الغروب الذي يوحي بمصرع الشمس الدامي والشعور بزوال أمر ماء، والإحساس بالإنقباض. وكذلك تعمد الرمزية إلى تقريب الصفات المتباعدة رغبة في الإيحاء مثل تعبيرات: الكون المقمر، الضوء الباكي، الشمس المرة المذاق.. الخ.
- تحرير الشعر من الأوزان التقليدية، فقد دعى الرمزيون إلى الشعر المطلق مع التزام القافية أو الشعر الحر وذلك لتساير الموسيقى فيه دفعات الشعور.

## الجزور الفكرية والعقائدية:

- لقد انبثقت الرمزية عن نظرية المثل لدى أفلاطون، وهي نظرية تقوم على إنكار الحقائق الملموسة، وتعتبر النظرية عن حقائق مثالية، وتقول: إن عقل(\*) الإنسان الظاهر الواعي عقل محدود، وأن الإنسان يملك عقلاً غير واع أرحب من ذلك العقل.
- وفي أواخر القرن التاسع عشر تجمعت عوامل عقديّة واجتماعية وثقافية لولادة الرمزية على يد: بودلير وغيره من الأدباء:

- العوامل العقديّة: وتتمثل في انغماس الإنسان الغربي في المادية(\*) التي زرعتها الفلسفة(\*) الوضعية، ونسيان كيانه الروحي، وقد فشلت المادية والإلحاد(\*) في ملء الفراغ الذي تركه عدم الإيمان بالله.

● العوامل الإجتماعية: وتتمثل في الصراع الاجتماعي الحاد بين ما يريده بعض الأدباء والمفكرين من حرية مطلقة وإباحية أخلاقية، وبين ما يمارسه المجتمع من ضغط وكبح لجماعهم، مما زاد بتأثرهم بنظرية المثل الأفلاطونية وكتابات الكاتب الأمريكي ادجار الآن بو – الخيالية المتميزة.

- العوامل الفنية : وذلك باعتقادهم أن اللغة عاجزة عن التعبير عن تجربتهم الشعورية العميقة، فلم يبق إلا الرمز ليعبر فيه الأديب عن مكنونات صدره.

## الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الرمزية في فرنسا حيث ولدت أكثر المذاهب(\*) الأدبية والفكرية، ثم انتشرت في أوروبا وأمريكا.

● ويكاد يكون هذا المذهب نتيجة من نتائج تمزق الإنسان الأوروبي وضياعه بسبب طغيان النزعة المادية وغيبة الحقيقة، والتعلق بالعقل البشري وحده للوصول إليها، من خلال علوم توهم بالخلاص عند السير في دروب الجمال، ولا شك أن الرمزية ثمرة من ثمرات الفراغ الروحي والهروب من مواجهة المشكلات باستخدام الرمز في التعبير عنها.

## ويتضح مما سبق:

أن الرمزية مذهب أدبي يتحلل من القيم الدينية، ويعبر عن التجارب الأدبية الفلسفية من خلال الرمز والتلميح، نأياً من عالم الواقع وجنوحاً إلى عالم الخيال، وبحثاً عن مثالية مجهولة تعوض الشباب عن غياب العقيدة الدينية، وذلك باستخدام الأساليب التعبيرية الجديدة، والألفاظ الموحية، وتحرير الشعر من كافة قيود الوزن التقليدية. ولاشك في خطورة هذا المذهب على الشباب المسلم إن درسه دون أن يكون ملماً سلفاً بأسسه المتقدمة والتي تهدر القيم الدينية.

## التعبيرية

### التعريف :

= التعبيرية مذهب(\*) أدبي فلسفي تجريبي لا انطباعي، إذ يعطي الأديب فيه للتجربة بعداً ذاتياً ونفسياً وذلك على عكس الانطباعية التي تركز على التعبير عن الانطباع الخارجي عن الذات.

= وقد اهتمت التعبيرية بالمسرح كما اهتمت بضروب الأدب الأخرى.

## التأسيس وأبرز الشخصيات:

= لقد تفرعت المدرسة التعبيرية إلى اتجاهات متعددة وهي:

- الاتجاه التطبيقي: ويقول أصحاب هذا الاتجاه: إن مهمة الأدب هي تنشيط عقل الإنسان ووجدانه، ومنعها من الركود والبلادة، وليس مجرد تقديم صورة لما يراه الإنسان بالفعل في حياته اليومية .

ومن شخصيات هذا الاتجاه تولر وهاسين كليفر وبيتشر وكابر والأمريكي جون هاورد لوسون.

- الاتجاه اللاعقلاني: ويقول أصحاب هذا الاتجاه إن المعقول هو ما اتفق عليه الناس، وعلى المسرح أن يعالج ما لم يتفق عليه الناس بعد.

= ومن شخصيات هذا الاتجاه:

- صمويل بيكيت المولود سنة 1906م وهو روائي ومسرحي أيرلندي الأصل. كان يكتب مسرحياته بالفرنسية.

- أونسكو المولود سنة 1912م وهو مسرحي روماني الأصل، ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

- ومن رموز التعبيرية أيضاً كافكا وأونيل الذي بلغت التعبيرية قيمتها في إحدى مسرحياته المتأخرة أيام بلا نهاية.

## الأفكار والمعتقدات:

= يتركز هدف الفن التعبيري في التجسيد الموضوعي الخارجي للتجربة النفسية المجردة، عن طريق توسيع أبعادها، وإلقاء أضواء جديدة عليها، لكي تكشف عن الأشياء التي يخفيها الإنسان أو التي لا يستطيعون رؤيتها لقصر نظرهم.

= وتجسد التعبيرية جوهر الأشياء، دون إظهار خارجها، ولذلك فهي لا تعترف بأن هناك تشابها بين الظاهر والباطن.

= تهتم التعبيرية بالإنسان كله، ولذا فإن الشخصيات في المسرح التعبيري تتحول إلي مجرد أنماط أكثر منها أناس من لحم ودم. وأحياناً تتحول إلي مجرد أرقام أو مسميات عامة.

- تقوم المسرحية التعبيرية على شخصية محورية تمر بأزمة نفسية أو عاطفية، لذلك يستعين المؤلف بعلم النفس في أحيان كثيرة حتى يبلور مأساة الشخصية الداخلية.

= ركز أصحاب المذهب (\*) التعبيري علي مهمة الأدب التقليدي الذي غالباً ما يتميز بالمحدودية والغباء وضيق الأفق.

= الاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية يعد الابن الشرعي للمذهب السريالي الأم. ولذلك يعد ثورة على منطق

الحياة وعلى العقل، لذلك لا يخضع لقواعد الفن. ويعتقد بأن الحياة في جوهرها وفي حقيقتها التجريدية شيء لا معقول أي غير مفهوم وغير قابل للفهم أو للتفسير.

- ويعد هذا الاتجاه أيضا من أمراض العصر الحاضر المملوء بالقلق واليأس من الحياة، والمصير المظلم الذي ينتهي بالموت.

## نقد للاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية:

- هاجم الناقد الفرنسي: موريك.. في كتابه الأدب المعاصر أدب بيكيت اللامعقول. فقال: "إننا لا نعرف من بيكيت شيئا محققاً أو واضحاً ولا نفهم شيئاً مما يقول على حقيقته".

- وكذلك هاجم أدب اللامعقول، الناقد أندريه مارسيل فقال: " يبدو أن الهدف الرئيسي لبيكيت هو كتابة العمل الأدبي الذي لا يكتب والذي لا يمكن تأليفه، إنها محاولة نحو المستحيل، وهي مأساة فشل لا مفر منه، ومجرد أكوام من الحطب المحترق التي تملأ الجو دخاناً في أرض مبهمة مجهولة".

## الجزور الفكرية والعقائدية:

= تعد الحرب العالمية الثانية، وما تركته من دمار في الأرض، ودمار في النفوس والأفكار المحضن الحقيقي للاتجاه اللاعقلاني في الأدب، لذلك كان اليأس والتشاؤم والقلق هو الغالب على مسرحيات هذا الاتجاه، إذ إن كثيراً من المفكرين والأدباء الأوروبيين فقدوا الأمل في الفكر العقلاني الواعي، لأن ما جرى خلال الحرب ينافي العقل والمنطق(\*) في رأيهم.

## الانتشار وأماكن النفوذ:

نشأت التعبيرية في فرنسا وألمانيا وانتشرت بعد ذلك في أوروبا والعالم الغربي كله.

## يتضح مما سبق:

أن التعبيرية مذهب أدبي فلسفي، يهتم بالتجربة الإنسانية، ويعطيها بعداً ذاتياً ونفسياً، فالعبرة فيه بجوهر الشيء لا بمظهره، لأنه لا يوجد أي تشابه بين الظاهر والباطن. وفي مجال المسرح يركز هذا المذهب على فكرة الشخصية المحورية التي تجتاز أزمة نفسية أو عاطفية ويتم تحليل أبعادها الخارجية من خلال معطيات علم النفس وأدواته. ويعد هذا المذهب مظهراً من مظاهر أمراض العصر الذي يغص بالقلق واليأس من الحياة والمصير المظلم الذي يسود كثيراً من دول الغرب وينتهي بكثير من الناس إلى فقدان الإحساس بقيمة الحياة والقيم الروحية التي تثريها وتجعل للإنسان فيها هدفاً ولوجوده معنى.

= تعقيب :

- الإسلام لا يمنع التعبير عن مكونات النفس إذا كان ذلك لا يتعارض مع معطيات الشرع، كالإفشاء بأسرار الحياة الزوجية مثلاً أو الدعوة إلى الإباحية وهكذا، وفي نفس الوقت يحبب حياة الجد والعمل والاجتهاد، ويمحو مفاهيم الفوضى والعدمية واللامعقول من عقول الناس حتى لا تسيطر عليها وتحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق.

## الحدائفة

### التعريف :

• الحدائفة مذهب (\*) فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها.

• وتهدف الحدائفة إلى إلغاء مصادر الدين (\*)، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية (\*)، والنفاذ إلى أعماق الحياة. والحدائفة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية وهي من هذه الناحية شر لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل (\*) وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني وتمثل نزعة الشر والفساد في عداة مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي ولظهور الشك (\*) والقلق في حياة الناس مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير.

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

• بدأ مذهب الحدائفة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضيين والعبثيين، ولقي استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربي.

• ومن أبرز رموز مذهب (\*) الحدائفة من الغربيين:

- شارل بودليير 1821 – 1867م وهو أديب فرنسي أيضاً نادى بالفوضى الجنسية والفكرية والأخلاقية، ووصفها بالسادية أي مذهب التلذذ بتعذيب الآخرين. له ديوان شعر باسم أزهار الشر مترجم للعربية من قبل الشاعر إبراهيم ناجي، ويعد شارل بودليير مؤسس الحدائفة في العالم الغربي.

- الأديب الفرنسي غوستاف فلوبيير 1821 – 1880م.

- مالا راميه 1842 – 1898م وهو شاعر فرنسي ويعد أيضاً من رموز المذهب الرمزي.

• ومن رموز مذهب (\*) الحدائفة في البلاد العربية:

- يوسف الخال – الشاعر النصراني وهو سوري الأصل رئيس تحرير مجلة شعر الحدائفة. وقد مات منتحراً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.

- أدونيس ( علي أحمد سعيد) نصيري سوري، ويعد المُرّوج الأول لمذهب الحدائفة في البلاد العربية، وقد هاجم التاريخ الإسلامي، والدين (\*) والأخلاق (\*) في رسالته الجامعية التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة "القدّيس يوسف" في لبنان وهي بعنوان الثابت والمتحول، ودعا بصراحة إلى محاربة الله عز وجل. وسبب شهرته فساد الإعلام بتسليط الأضواء على كل غريب.



- د. عبد العزيز المقالح – وهو كاتب وشاعر يمني، وهو الآن مدير لجامعة صنعاء وذو فكر يساري.
- عبد الله العروي – ماركسي مغربي.
- محمد عابد الجابري مغربي.
- الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.
- الشاعر الفلسطيني محمود درويش – عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء إقامته بفلسطين المحتلة، وهو الآن يعيش خارج فلسطين.
- كاتب ياسين ماركسي جزائري.
- محمد أركون جزائري يعيش في فرنسا.
- الشاعر المصري صلاح عبد الصبور – مؤلف مسرحية الحلاج.

## الأفكار والمعتقدات :

- نجمل أفكار ومعتقدات مذهب الحداثة كما هي عند روادها ورموزها وذلك من خلال كتاباتهم وشعرهم فيما يلي:
- رفض مصادر الدين(\*)، الكتاب والسنة والإجماع(\*)، وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً.
- رفض الشريعة(\*) وأحكامها كموجه للحياة البشرية.
- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثية.
- الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.
- الثورة(\*) على الأنظمة السياسية الحاكمة لأنها في منظورها رجعية متخلفة أي غير حداثية، وربما استثنوا الحكم البعثي.
- تبني أفكار ماركس المادية(\*) الملحدة، ونظريات فرويد في النفس الإنسانية وأوهامه، ونظريات دارون في أصل الأنواع وأفكار نيتشة، وهلوسته، والتي سموها فلسفة في الإنسان الأعلى (السوبر مان).
- تحطيم الأطر التقليدية والشخصية الفردية، وتبني رغبات الإنسان الفوضوية والغريزية.
- الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية الإنسانية، وحتى الاقتصادية والسياسية.
- رفض كل ما يمت إلى المنطق والعقل.

- اللغة - في رأيهم - قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي، لذا يجب أن تموت، ولغة الحداثة هي اللغة النقيض لهذه اللغة الموروثة بعد أن أضحت اللغة والكلمات بضاعة عهد قديم يجب التخلص منها.

- الغموض والإبهام والرمز - معالم بارزة في الأدب والشعر الحداثي.

- ولا يقف الهجوم على اللغة وحدها ولكنه يمتد إلى الأرحام والوشاح حتى تتحلل الأسرة، وتزول روابطها، وتنتهي سلطة الأدب وتنتصر إرادة الإنسان وجهده على الطبيعة والكون.

● ومن الغريب أن كل حركة جديدة للحداثة تعارض سابقتها في بعض نواحي شذوذها وتتابع في الوقت نفسه مسيرتها في الخصائص الرئيسية للحداثة.

● إن الحداثة هي خلاصة سموم الفكر البشري كله، من الفكر الماركسي إلى العلمانية الراضة للدين(\*)، إلى الشعبوية(\*)، إلى هدم عمود الشعر، إلى شجب تاريخ أهل السنة كاملاً، إلى إحياء الوثنيات(\*) والأساطير.

● ويتخفى الحداثيون وراء مظاهر تقتصر على الشعر والتفعية والتحليل، بينما هي تقصد رأساً هدم اللغة العربية وما يتصل بها من مستوى بلاغي وبياني عربي مستمد من القرآن الكريم، وهذا هو السر في الحملة على القديم وعلى التراث وعلى السلفية(\*).

### تطور مذهب الحداثة في الغرب وفي البلاد العربية:

● إن حركة الحداثة الأوروبية بدأت قبل قرن من الزمن في باريس بظهور الحركة البوهيمية فيها بين الفنانين في الأحياء الفقيرة.

- ونتيجة للمؤثرات الفكرية، والصراع السياسي والمذهبي والاجتماعي شهدت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي في أوروبا اضمحلال العلاقات بين الطبقات، ووجود فوضى حضارية انعكست آثارها على النصوص الأدبية. وبلغت التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوروبا ذروتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وبقيت باريس مركز تيار الحداثة الذي يمثل الفوضى الأدبية.

- وقد تبنت الحداثة كثيراً من المعتقدات والمذاهب الفلسفية والأدبية والنفسية أهمها :

1- الدادائية: وهي دعوة ظهرت عام 1916م، غالت في الشعور الفردي ومهاجمة المعتقدات، وطالبت بالعودة للبدائية والفوضى الفنية الاجتماعية.

2- السريالية: واعتمدها على التنويم المغناطيسي(\*)، والأحلام الفرويدية، بحجة أن هذا هو الوعي الثوري للذات، ولهذا ترفض التحليل المنطقي، وتعتمد بدلاً عنه الهوس والعاطفة.

3- الرمزية: وما تتضمنه من ابتعاد عن الواقع والسباحة في عالم الخيال والأوهام، فضلاً عن التحرر من الأوزان الشعرية، واستخدام التعبيرات الغامضة والألفاظ الموحية برأي روادها.

- وقد واجهت الحداثة معارضة شديدة في كل أنحاء أوروبا، حتى في باريس مسقط رأسها، من المدافعين عن اللغة والتراث وممن ينيطون بالأدب مهمة التوصيل في إطار العقل والوعي الإنساني.

- وكثير من أدباء القرن العشرين لم يعترفوا بالحدائثة ولا بما جاءت به من تجريد جمالي وثورة وعدم تواصل، وعدّ كثير من المفكرين الغربيين الحدائثة نزوة عابرة في تاريخ الفكر الغربي.

● والحدائثة العربية هي حدائثة غربية في كل جوانبها وأصولها وفروعها إلا أنها تسللت إلى العالم العربي دون غرابة، وذلك لأنها اتخذت صورة العصرية، والاتجاه التجديد (\*) في الأدب، وارتباط مفهوم الحدائثة في أذهان بعض المثقفين بحركة ما يسمى بالشعر الحر أو شعر التفعيلة.

- اصطلاح الحدائثة بمفهومه الغربي، لم يفتح الأدبي العربي إلا في فترة السبعينات بينما تسربت مضامينه منذ الثلاثينات من هذا القرن، وذلك في محاولات الخروج على علم العروض العربي، وفي الأربعينات ظهرت بعض ظواهر التمرد والثورة والرفض وتجريب بعض الاتجاهات الأدبية الغربية كالتعبيرية والرمزية والسريالية.

ثم ظهرت مجلة شعر التي رأس تحريرها في لبنان يوسف الخال عام 1957م وتوقفت عام 1964م للتمهيد لظهور حركة(\*) الحدائثة بصفتها حركة فكرية، لخدمة التغريب، وصرف العرب عن عقيدتهم ولغتهم الفصحى.. لغة القرآن الكريم.

وبدأت تجربتها خلف ستار تحديث الأدب، فاستخدمت مصطلح الحدائثة عن طريق ترجمة شعر رواد الحدائثة الغربيين أمثال: بولدير ورامبو وماالاراميه، وبدأ رئيس تحريرها – أي: مجلة شعر – يكشف ما تروج له الحدائثة الغربية حين دعا إلى تطوير الإيقاع الشعري، وقال بأنه ليس للأوزان التقليدية أي قداسة ويجب أن يعتمد في القصيدة على وحدة التجربة والجو العاطفي العام لا على التتابع العقلي والتسلسل المنطقي كما أنه قرر في مجلته أن الحدائثة موقف حديث في الله والإنسان والوجود.

● كان لعلي أحمد سعيد (أدونيس) دور مرسوم في حركة الحدائثة وتمكينها على أساس ما دعاه من الثبات والتحول فقال: "لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية السائدة في الفكر العربي والتخلص من المبنى الديني التقليدي الإتياعي". استخدم أدونيس مصطلح الحدائثة الصريح ابتداءً من نهاية السبعينات عندما أصدر كتابه: صدمة الحدائثة عام 1978م وفيه لا يعترف بالتحول إلا من خلال الحركات الثورية السياسية والمذهبية، وكل ما من شأنه أن يكون تمرداً على الدين(\*) والنظام تجاوزاً للشريعة(\*)).

- لقد أسقط أدونيس مفهوم الحدائثة على الشعر الجاهلي وشعراء الصعاليك وشعر عمرو بن أبي ربيعة، وأبي نواس وبشار بن برد وديك الجن الحمصي، كما أسقط مصطلح الحدائثة على المواقف الإلحادية لدى ابن الرواندي وعلى الحركات الشعبية(\*) والباطنية(\*) والإلحادية المعادية للإسلام أمثال: ثورة الزنج والقرامطة.

- ويعترف أدونيس بنقل الحدائثة الغربية حين يقول في كتابه الثابت والمتحول: "لا نقدر أن نفصل بين الحدائثة العربية والحدائثة في العالم".

## أهم خصائص الحدائثة :

- محاربة الدين (\*) بالفكر والنشاط.

- الحيرة والشك (\*) والقلق والاضطراب.

- تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد.
- الهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمور.
- الثورة على القديم كله وتحطيم جميع أطر الماضي، إلا الحركات الشعبوية والباطنية(\*).
- الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة.
- امتدت الحداثة في الأدب إلى مختلف نواحي الفكر الإنساني ونشاطه.
- قلب موازين المجتمع والمطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة بكل فتنها، والدعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة(\*).
- عزل الدين ورجاله واستغلاله في حروب عدوانية.
- تبني المصادفة والحظ والهوس والخيال لمعالجة الحالات النفسية والفكرية بعد فشل العقل في مجابهة الواقع.
- امتداد الثورة على الطبيعة(\*) والكون ونظامه وإظهار الإنسان بمظهر الذي يقهر الطبيعة.
- ولذا نلمس في الحداثة قدحاً في التراث الإسلامي، وإبرازاً لشخصيات عرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي ومهيار الديلمي وميمون القداح وغيرهم. وهذا المنهج يعبر به الأدباء المتحللون من قيم الدين والأمانة، عن خلجات نفوسهم وانتماءاتهم الفكرية.

## ويتضح مما سبق:

أن الحداثة تصور إلهادي جديد – تماماً – للكون والإنسان والحياة، وليست تجديداً(\*) في فنيات الشعر والنثر وشكلياتها. وأقوال سدنة الحداثة تكشف عن انحرافهم باعتبار أن مذهبهم يشكل حركة مضللة ساقطة لا يمكن أن تنمو إلا لتصبح هشياً تذروه الرياح وصدق الله العظيم إذ يقول: {ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً}.

حسبنا في التدليل على سعيهم لهدم الثوابت أن نسوق قول أدونيس وهو أحد رموز الحداثة في العالم العربي في كتابه فن الشعر ص 76: "إن فن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية، وليست تلك التي تسايره في حياته الجادة، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة! أي تصدمه، وتخرجه من سباته، تفرغه من موروته وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم. كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها، وذلك من أجل تهديمها كلها! أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد، يلزمنا تحطيم الموروث الثابت، فهنا يكمن العدو الأول للثورة والإنسان".

ولا يعني التمرد على ما هو سابق وشائع في مجتمعنا إلا التمرد على الإسلام وإباحة كل شيء باسم الحرية(\*).

- فالحداثة إذن هي منهج(\*) فكري عقدي يسعى لتغيير الحياة ورفض الواقع والردة عن الإسلام بمفهومه الشمولي والانسحاق وراء الأهواء والنزعات الغامضة والتغريب المضلل.

وليس الإنسان المسلم في هذه الحياة في صراع وتحدي مع الكون كما تقول كتابات أهل الحداثة وإنما هم الذي يتصلون من مسئولية الكلمة عند الضرورة ويريدون وأد الشعر العربي ويسعون إلى القضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجريد وتجاوز جميع ما هو قديم وقطع صلتهم به.

- ونستطيع أن نقرر أن الحداثيين فقدوا الانتماء لماضيهم وأصبحوا بلا هوية ولا شخصية. ويكفي هراء قول قائلهم حين عبر عن مكنونة نفسه بقوله:

لا الله اختار ولا الشيطان \*\*\* كلاهما جدار  
كلاهما يغلق لي عيني \*\*\* هل أبدل الجدار بالجدار

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

## الواقعية

### التعريف :

الواقعية مذهب(\*) أدبي فكري مادي(\*) ملحد، إذ يقتصر في تصويره الحياة والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب والإيمان بالله، ويصور الإنسان بالحيوان الذي تسيره غرائزه لا عقله.

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ارتبطت نشأة المذهب الواقعي بالفلسفات الوضعية والتجريبية والمادية(\*) الجدلية(\*) التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده، وسارت الواقعية في ثلاثة اتجاهات: الواقعية النقدية والواقعية الطبيعية والواقعية الاشتراكية. وللواقعية أعلام في شتى فروعها:

### ● أعلام الواقعية النقدية:

- القصاص الفرنسي أنوريه دي بلزاك 1799 – 1850م ومن قصصه روايته المشهورة الملهة الإنسانية في 94 جزء، صور فيها الحياة الفرنسية بين عام 1829 – 1948م.

- الكاتب الإنكليزي شارل ديكنز 1812 – 1850م وله الرواية المشهورة قصة مدينتين.

- الأديب الروسي تولستوي 1828 – 1910م وله القصة المشهورة الحرب والسلام.

- الأديب الروسي دستوفسكي مؤلف الجريمة والعقاب.

- والأديب الأمريكي أرنست همنجواي 1899 – 1961م وله القصة المشهورة العجوز والبحر وقد مات منتحراً.

### • أعلام الواقعية الطبيعية:

- إميل زولا الأديب الفرنسي 1840 – 1920م مؤلف قصة الحيوان البشري وفيها يطبق نظريات دارون في التطور، ونظريات مندل في الوراثة، وكلود برنار في الطب.

- جوستاف فلوبيير 1821-1880م الأديب الفرنسي ومؤلف القصة المشهورة مدام بوفاري.

### • أعلام الواقعية الاشتراكية(\*):

- مكسيم جوركي 1868 – 1936م كاتب روسي، عاصر الثورة(\*) الروسية الشيوعية، ومؤلف قصة الأم.

- ماياكو فسكي 1892 – 1930م وهو شاعر الثورة الروسية الشيوعية، وقد مات منتحراً.

- لوركا 1898 – 1936م وهو شاعر أسباني.

- بابلو نيرودا 1904 – 1973م وهو شاعر تشيلي.

- جورج لوكاش – وهو كاتب فرنسي حديث.

- كما كان من أعلامها: روجيه جارودي – وهو مفكر فرنسي اهتم إلى الإسلام وسمى نفسه رجاء جارودي وإن كان مازال يتأرجح بين ماضيه وحاضره.

### الأفكار والمعتقدات:

• تشعب المذهب(\*) الواقعي، كما تقدم، إلى ثلاثة اتجاهات.

- الواقعية النقدية ومن أفكارها:

1- الاهتمام بنقد المجتمع ومشكلاته.

2- التركيز على جوانب الشر والجريمة.

3- الميل إلى التشاؤم واعتبار الشر عنصراً أصيلاً في الحياة.

4- المهمة الرئيسية للواقعية النقدية الكشف عن حقيقة الطبيعة.

5- اختيار القصة وسيلة لبث الأفكار التي يريدونها.

### - الواقعية الطبيعية:

تتفق مع الواقعية في جميع آرائها وأفكارها وتزيد عليها:

1- التأثير بالنظريات العلمية والدعوة إلى تطبيقها في مجال العمل الأدبي.

2- الإنسان في نظرها حيوان تسيره غرائزه، وكل شيء فيه يمكن تحليله، فحياته الشعورية والفكرية والجسمية ترجع إلى إفرازات غددية.

### الواقعية الاشتراكية:

وقد نادى بها الماركسية ومن أفكارها:

1- إن النشاط الاقتصادي(\*) في نشأته وتطوره هو أساس الإبداع(\*) الفني، لذلك يجب توظيف الأدب لخدمة المجتمع حسب المفهوم الماركسي.

2- العمل الأدبي الفني عليه أن يهتم بتصوير الصراع الطبقي بين طبقة العمال والفلاحين وطبقة الرأسمالية والبرجوازيين(\*)، وانتصار الأولى التي تحمل الخير والإبداع على الثانية التي هي مصدر الشرور في الحياة.

3- رفض أي تصورات غيبية، وخاصة ما يتعلق منها بالعقائد السماوية.

4- استغلال جميع الفنون الأدبية لنشر المذهب(\*) الماركسي.

### الجزور الفكرية والعقائدية:

إن الأسس التي قامت عليها الواقعية هي المذاهب الفلسفية المادية(\*)، مثل الفلسفة(\*) الوضعية التي انتشرت في فرنسا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ورائدها الفيلسوف الفرنسي كونت التي ترفض كل ما هو غيبي، وتقتصر على عالم المادة والحس.

وكذلك تعد الفلسفة التجريبية التي تلتقي مع الوضعية في رفض الغيبيات من جذور الواقعية.

ومن الجذور الفكرية العميقة للواقعية الاشتراكية(\*)): الفلسفة المادية الجدلية(\*) التي نادى بها ماركس وإنجلز التي تعد العقيدة الرسمية للشيوعية الدولية والتي من مفاهيمها أن المادة هي الوجود الحقيقي، وأن القيم العقلية انبثقت من العلاقات المادية بين الناس.

وكذلك ترتبط الواقعية بالنظرية الفلسفية التي ترى أن الحياة تنبت على الشر، وأن ما يبدو من مظاهر الخير ليس إلا طلاءً زائفاً يمويه واقع الحياة الفكرية ويخفي طبيعة الإنسان الحقيقية.

وقد عبر الفيلسوف الإنكليزي هوبز عن هذا الاتجاه بقوله: "إن الإنسان ذئب لا هم له إلا الفتك

بالإنسان".

وقد عمل دعاة الواقعية على ربط الإنسان الغربي بغرائزه وحيوانيته، وتوجيه نظره إلى التراب لا إلى السماء، وزادوا في ماديته، وساعدوا على إفساده وإيقاظ شهوته.

أما دعاة الواقعية الاشتراكية أو الشيوعية، الذين سطروا الكتب والمقالات والقصص والمسرحيات والأشعار في تمجيد الشيوعية، والزمع أنها الحقيقة للسعادة البشرية، فقد زادوا الإنسانية شقاء وتعاسة ومعيشة ضنكا، وقد تحطمت فلسفتهم في أوروبا الشرقية تحت مطارق الواقع المؤلم.. كما نرى بأم أعيننا الآن، إذ بدأت تتراجع بخطى سريعة إلى عفن التاريخ الذي لا يرحم، وتفكك ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وعاد الإسلام إلى الدول الإسلامية.

والإسلام يدعو إلى الاهتمام بالدنيا" اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً" ويرفض النظر بتشاؤم إلى تصاريق القدر وليس ثمة ما يمنع الإنسان من التأثير والتغيير في حياته والمجتمع الذي يعيش فيه. وقد كرم الإسلام الإنسان ولم يضعه في مصاف القرود واهتم بجانبه الروحي باعتباره – أي الإنسان – جسداً وروحاً، ولكل مطالبه التي لا يجوز إغفالها ولا الاقتصار على أحدها دون الآخر. والمسلم يرفض النظرية الفلسفية التي تقول: "إن الحياة قد بنيت على الشر" والأديان (\*) عموماً جاءت للقضاء على الشر والنهوض بالنفس البشرية.

### ويتضح مما سبق:

أن الواقعية مذهب (\*) أدبي فكري مادي ملحد، يصور الحياة كمادة ويرفض عالم الغيب ولا يؤمن بالله، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية، ويتخذ كل ذلك أساساً لأفكاره التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته مع التركيز على جوانب الشر والجريمة، والميل إلى النزعات التشاؤمية وجعل مهمة النقد مركزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة (\*) كطبيعة بلا روح أو قيم. ومن هنا كانت آثار هذا المذهب الأدبي المدمرة على الشباب المسلم إذا لم يضع هذه الأمور في حساباته وهو يتعامل مع الإفرازات الأدبية لهذا المذهب.

## العدمية

### التعريف :

العدمية مذهب (\*) أدبي وفلسفي ملحد، اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، بل هو نهاية الوجود، وبه نعرف حقيقة الحياة بعيداً عن النظرة المثالية والنظرة الواقعية السطحية.

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

= من أهم الشخصيات العدمية في مجال الأدب ديستوفسكي الروائي الروسي، وفي مجال الفلسفة



نيتشه صاحب مقولة (موت الإله) والعدمية ترى أن الوجود الإلهي وعدمه سواء ولا يحسن أن يجهد الناس أنفسهم في هذا الموضوع. والمؤرخون يفرقون بين الإلحاد والعدمية من حيث أن الملحد يختار جانب الإلحاد(\*) الصريح (سارتر مثلاً) أما العدمي فيرى أن المسألة سواء (يستوي الوجود الإلهي وعدمه) وديستوفسكي يرى أنه إذا كان الإله(\*) غير موجود فكل شيء مباح ولا معنى للأخلاق(\*)).

= وهذا المذهب مرفوض إسلامياً لأننا مطالبون أولاً بتقرير الوجود الإلهي والتوحيد الخالص وثانياً تقرير ارتباط قيام الأخلاق على التشريع الإسلامي في مصدرية الأساسيين، فالأديب والفيلسوف العدمي يناقضان الإسلام.

= برزت العدمية في روايات الواقعية النقدية لجوستاف فلوبير 1821 – 1880م وأندريه دي بلزاك 1799 – 1850م وفي أعمال الطبيعة الانطباعية لأميل زولا 1840 – 1902م في القرن التاسع عشر. إلا أن الأديب الفرنسي جوستاف فلوبير هو المعبر الأول عن العدمية في رواياته، ثم أصبحت مذهباً أدبياً لعدد كبير من الأدباء في القرن التاسع عشر.

= ويعد الشاعر والناقد جوتفريد بن 1886 – 1956م من أبرز العدميين الذين وضحو معنى العدمية كمذهب أدبي، إذ قال بأن العدمية ليست مجرد بث اليأس والخضوع في نفوس الناس بل مواجهة شجاعة وصريحة لحقائق الوجود.

= وقد رحب هذا الشاعر بالحكومة النازية عندما قامت في الثلاثينات من هذا القرن على أساس أنها مواجهة حاسمة للوجود الراكد. إلا أنه عدَّ عدواً للنازية لأنه قال بأن البشر متساوون أمام العدم والفناء وليس هناك جنس مفضل على غيره. وقد صودرت جميع أعماله الأدبية عام 1937م.

## الأفكار والمعتقدات :

= إن الإنسان خُلِق وله إمكانيات محدودة، وعليه لكي يثبت وجوده، أن يتصرف في حدود هذه الإمكانيات، بحيث لا يتحول إلى يائس متقاعس أو حالم مجنون.

= إن البشر يتصارعون، وهم يدركون جيداً أن العدم في انتظارهم وهذا الصراع فوق طاقتهم البشرية، لذلك يتحول صراعهم إلى عبث لا معنى له.

= ينحصر التزام الأديب العدمي في تذكرة الإنسان بحدوده حتى يتمكن من استغلال حياته على أحسن وجه.

= العمل الأدبي يثبت أن لكل شيء نهاية، ومعناه يتركز في نهايته التي تمنح الدلالة للوجود، ولا يوجد عمل أدبي عظيم بدون نهاية وإلا فقد معناه، وكذلك الحياة تفقد معناها إذا لم تكن لها نهاية.

= الرومانسية المثالية في نظر الأديب العدمي مجرد هروب مؤقت لا يلبث أن يصدم الإنسان بقسوة الواقع وبالعدم الذي ينتظره، وقد يكون في هذا الاصطدام انهياره أو انحرافه.

= يهدف الالتزام الأدبي للعدمية إلى النضوج الفكري للإنسان ورفعته من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم.

= تهدف العدمية إلى الغاء الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، لأن المعرفة الإنسانية لا تتجزأ في مواجهة قدر الإنسان، وإذا اختلف طريق العلم عن طريق الفن فإن الهدف يبقى واحداً وهو: المزيد من المعرفة عن الإنسان وعلاقته بالعالم.

= إن اتهام العدمية بالسلبية وإشاعة روح اليأس، يرجع إلى الخوف من لفظ العدم ذاته وهذه نظرة قاصرة، لأن تجاهل العدم لا يلغي وجوده من حياتنا.

= العدمية ليست مجرد إبراز الموت والبشاعة والعنف والقبح ولكن الأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال ذلك إلى معنى الحياة، وبذلك يوضح بأن العدم هو الوجه الآخر للوجود، ولا يمكن الفصل بينهما لأن معنى كل منهما يكمن في الآخر.

### الجزور الفكرية والعقائدية:

= ترجع العدمية في أفكارها إلى مسرحيات الإغريق القدامى، التي تصور الإنسان وصراعه مع الأقدار وكأنه صراع ضد فكرة العدم.

= وكذلك العقائد النصرانية وما تتضمنه من معاني الموت، ونهاية العالم، واليوم الآخر، والحساب .. الخ.

= إلا أن العدمية لم تبلور العقيدة الدينية في الحياة والموت.. في الإيمان الذي يبعث على عمل الخير والجد، والاجتهاد لإعمار الأرض لتكون الحياة عليها سعيدة مطمئنة. وإنما اقتصر على تصوير معاني العدم والجانب السلبي في الحياة، على نحو يوحي بأن العدم هو الوجود الخالد، وطالما كان الأمر كذلك فإن الإلحاد يحيط بالعدمية من كل جانب.

### أماكن الانتشار:

= انتشرت العدمية في فرنسا وإنكلترا بشكل خاص والعالم الغربي عامة.

### ويتضح مما سبق :

أن العدمية مذهب(\*) أدبي ملحد يعتبر العدم نهاية الوجود، ووفقاً لهذا المذهب ينحصر التزام الأديب العدمي في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالاً عديمياً، ينضج معه فكر الإنسان، حسب زعم هذا المذهب، نضجاً يرفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب المدرك له والذي يلغي الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، فالأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال الموت والبشاعة والعنف والقبح إلى معنى الحياة العدمية، فالعدم هو الوجه الآخر للوجود. ولا شك أن هذه الأفكار لا تخدم أية فكرة أخلاقية أو دينية، بل إنها تتنافى كلية معهما.

### البرناسية (مذهب الفن للفن)

## التعريف :

البرناسية مذهب (\*) أدبي فلسفي لا ديني قام على معارضة الرومانسية من حيث أنها مذهب الذاتية في الشعر، وعرض عواطف الفرد الخاصة على الناس شعراً واتخاذها وسيلة للتعبير عن الذات، بينما تقوم البرناسية على اعتبار الفن غاية في ذاته لا وسيلة للتعبير عن الذات، وهي تهدف إلى جعل الشعر فناً موضوعياً همه استخراج الجمال من مظاهر الطبيعة أو إضافته على تلك المظاهر، وترفض البرناسية التقيد سلفاً بأي عقيدة أو فكر أو أخلاق (\*) سابقة.

وهي تتخذ شعار "الفن للفن".

## التأسيس وأبرز الشخصيات:

= أطلق أحد الناشرين الفرنسيين على مجموعة من القصائد لبعض الشعراء الناشئين اسم "البرناس المعاصر" إشارة إلى جبل البرناس الشهير باليونان التي تقطنه "آلهة الشعر" كما كان يعتقد قدماء اليونان إلا أن الاسم ذاع وانتشر للتعبير عن اتجاه أدبي جديد. وإن كان دعاة هذا المذهب قد انتسبوا إلى مذاهب أدبية أخرى تشكلت فيما بعد ومنهم:

- شارل بودلير 1821 – 1867م وهو شاعر فرنسي، نادى بالفوضى الجنسية، ووصف بـ "السادية" أي التلذذ بتعذيب الآخرين.

- ومنهم تيوفيل جوتيه 1811 – 1872م وهو من أكبر طلائع البرناسية.

- ومنهم لو كنت دي ليل ويعد رئيس هذا المذهب، وقد تبلورت مبادئه بعد منتصف القرن التاسع عشر وانتهى به الأمر إلى أن ترك النصرانية إلى البوذية.

- ومالا راميه 1842 – 1898م وهو شاعر فرنسي، ويعد من أشد المدافعين عن هذا المذهب. ومن أعمدة المذهب الرمزي أيضاً.

## الأفكار والمعتقدات:

= اعتبار الأدب والفن غاية في ذاتيهما وأن مهمتهما الإمتاع فقط لا المنفعة، وإثارة المشاعر وإلهاب الإحساس ليتذوق الإنسان الفن الجيد.

= تحطيم القديم وتدميره لبناء العالم الجديد الخالي من الضياع، حسب زعمهم، والقديم في رأيهم، هو كل ما ينطوي على العقائد والأخلاق والقيم.

= يحقق الإنسان سعادته عن طريق الفن لا عن طريق العلم.

= استبعاد التعليم والتوجيه التربوي عن الشعر والفن عامة. والاهتمام بالشكل والتعبير الأدبي أكثر من

اهتمامهم بالمضامين الفنية والأدبية.

= إن الحياة تقليد للفن وليس العكس.

## الجزور الفكرية والعقائدية:

= كان أرسطو الفيلسوف اليوناني 383 – 322 ق.م أول من هاجم الاتجاه التعليمي والأخلاقي في الشعر، وكان يرد بذلك على أفلاطون الذي قرر أن الشعر خادم الفلسفة(\*) الأخلاقية وفكرة الإرشاد التعليمي.

= وبعد سقوط الإمبراطورية الإغريقية، وسيطرة الإمبراطورية الرومانية بكل اتجاهاتها العملية والنفعية، سيطر الاتجاه التعليمي على الأدب.

= سيطرت الكنيسة(\*) على الفلسفة والأدب وبقي الاتجاه التعليمي في الشعر هو السائد. ومع ذل وجد من يتذوق الشعر من أجل القيم الجمالية، كالقديس أو غسطيوس في كتابه النظرية المسيحية(\*) حيث يؤكد على المتعة الفنية التي تذوقها هو في الأسلوب الأدبي الذي كتبت به الأناجيل(\*).

= ورغم تطور النقد الأدبي في القرن السادس عشر إلا أنه لم يتغلب على الاتجاه التعليمي في الأدب.

= وفي القرن السابع عشر يؤكد بيركورني أن الهدف الأساسي في الشعر المسرحي هو المتعة الفنية.

= وبمرور الزمن ازداد الهجوم على الجانب التعليمي للفن من قبل ورد زورث 1770-1850م والشاعر شيللي 1792 – 1822م ورواد المدرسة الرمزية أمثال بودليير ومالا راميه.

= وفي مطلع القرن العشرين اعتبر النقاد نظرية الفن للفن.. دفاعاً مستميتاً عن الفن حتى لا تستخدم في الأغراض النفعية المؤقتة.

= والواقع أن المضمون الفكري والعقائدي لهذا المذهب(\*) - غير الصورة الخارجية المتعلقة بالمتعة الفنية - هو رفض كل فكرة وعقيدة وأخلاق سابقة وخاصة ما يتعلق بالدين(\*) وإن كان هذا الأمر لم يكن واضحاً في آثار أصحاب المذهب.

= لذلك كان الهجوم على مدرسة الفن للفن، بعد انحرافها الكبير عن الحياة الواعية العاقلة من قبل بعض النقاد أمثال ت.س. اليوت الذي اتهم أصحابها بالخطأ وقصر النظر، وقرر أنه لا بد من الالتزام للأديب أو الشاعر. وأن غاية الشعر والنقد تلزم كل شاعر ونقاد أن تكون الكتابة ذات نفع اجتماعي ما للقارىء.

## الانتشار ومناطق النفوذ:

= مذهب(\*) الفن للفن مثل بقية المذاهب الأدبية نشأ في أوروبا، وأشد المتحمسين له كانوا في فرنسا، أم المذاهب تقريباً، ولكن كان له أنصار في ألمانيا وإيطاليا، ووصل المذهب إلى أمريكا وغيرها من الدول.

إلا أنه تقلص بعد ذلك وتوقع على نفسه بعد أن وجه له النقد الشديد لانحرافه عن كثير من الأصول التي بني عليها، والقيم التي كان يلزمه التقيد بها.

= ملاحظة:

- يلاحظ أن البرناسية تعزل الأدب عن قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية وتجعله غاية في حد ذاته، والإسلام يحدد غايات الإنسان في الحياة، ولا يقبل أن يكون الأدب غاية في ذاته، كما يرفض الإسلام الأدب المكتشف الذي يستخدم كأداة للانحراف ويقيس قيمته بموازين الخير والشر، وإذا صدر الأدب عن تصور يرفض القيم الدينية فهو مرفوض شكلاً وموضوعاً مهما سمته قيمته الأدبية وفقاً لمقاييس الصياغة أو حسن التعبير.

## ويتضح مما سبق:

أن البرناسية مذهب أدبي فلسفي لا ديني، يعارض الرومانسية من حيث أنها مذهب الذاتية في الشعر، وهو يعتبر الأدب والفن غاية في حد ذاتيهما، لا وسيلة للتعبير عن الذات، ويرنو إلى تحطيم كل ما هو قديم وتدميره من أجل بناء العالم الجديد الخالي من الضياع حسب زعم أنصار المذهب. ولما كان القديم في هذا المذهب يعني كل ما ينطوي على العقائد والأخلاق(\*) والقيم، فإن تحطيم القديم يعني في هذا المذهب(\*) وجوب تحطيم الدين(\*) والقيم الأخلاقية الأمر الذي يجب أن يتنبه له الشباب المسلم وهو يدرس هذا المذهب ويتعامل مع حصاده الفكري.

## الرد الإسلامي على نظرية الفن للفن:

- الأدب في الإسلام والفن يجب أن يكون ملتزماً بالقيم الإسلامية وبمراعاة مبدأ التوحيد الخالص وبمراعاة نهى الإسلام عن التصوير والتجسيد، أما الفن للفن فإتباع للهوى وقد يؤدي بالفنان إلى تصوير ما يثير الشهوات ويفسد الأخلاق، وذلك مناقض لما تجب مراعاته من ضرورة الالتزام بأصول الفقه وأهم قواعده (لا ضرر ولا ضرار) والفن للفن يؤدي إلى إضرار أو إلى عدم منفعة وكلاهما موقف غير إسلامي.

## الانطباعية (التأثرية)

### التعريف :

الانطباعية مذهب(\*) أدبي فني، ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، وهو يعتبر الإحساس، والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي، لا المفهوم العقلاني للأمور. ويرجع ذلك إلى أن أي عمل فني بحث لا بد أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحى بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان إلى التعبير عنه.

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

= أطلقت الانطباعية في البداية على مدرسة في التصوير ترى أن الرسام يجب أن يعبر في تجرد

وبساطة عن الانطباع الذي ارتسم فيه حسياً، بصرف النظر عن كل المعايير العلمية، وبخاصة في ميدان النقد الأدبي، فالمهم هو الانطباع الذي يضيفه الضوء مثلاً على الموضوع لا الموضوع نفسه.

**ومن أهم شخصياتها:**

- أناتول فرانس 1844 - 1924م - الأديب الفرنسي، وهو يعد رائد الانطباع في الأدب، بعد أن انتقل المصطلح من الرسم إلى الأدب، ويرى أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارىء وهذا الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

- إنطونان بروست: وبعد من أبرع من جسد الانطباعية الأدبية فهو حين يصف مشهداً أو ينقل أحاسيسه إزاء مشهد، تتجسد أمامنا لوحة انطباعية.

## **الأفكار والمعتقدات:**

= طالما أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارىء، فإن على الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه، لأن الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

= إن الفنان يحس أو يتأثر أولاً، ثم ينقل هذا الانطباع أو التأثير عن طريق التعبير. ولا يكثرث للمعايير المتبعة للنقد الأدبي.

= الانطباعية تقول: (أنا أحس إذن أنا موجود) بدلاً من العقلانية التي تقول على لسان ديكارت: (أنا أفكر إذن أنا موجود).

= كل معرفة لم يسبقها إحساس بها لا تجدي..

= المضمون هو المهم لا الشكل الفني عند الأديب الانطباعي في نقل انطباعه الذاتي للآخرين.

= العالم الخارجي مجرد تجربة خاصة وأحاسيس شخصية وليس واقعاً موضوعياً موجوداً بشكل مستقل عن حواس الفرد.

= من النقد الذي وجه للانطباعيين أنهم جروا وراء التسجيل الحرفي للانطباع ونسوا القيمة الجمالية التي تحتم وجود الشكل الفني في العمل الأدبي.

= وأن أدب الاعترافات والخطابات الأدبية اللذين أدت إليهما الانطباعية، حيث يعبر فيهما الأدباء عن مكونات صدورهم، تحولوا إلى مجرد مرآة لحياة الأديب الداخلية، أي أن هؤلاء ينظرون للأدب على أنه مجرد ترجمة ذاتية أو سيرة شخصية للأديب.

= وهكذا فقد أصبح النقد الأدبي والتذوق الفني مجرد تعبير عن الانفعالات الشخصية والأحاسيس الذاتية التي يثيرها العمل الأدبي في الناقد.

= والفرق بين الانطباعية الشكلية والانطباعية الأدبية هو أن الانطباعية الشكلية تهتم بالشكل (تسليط الضوء على الإطار الخارجي)، بينما تهتم الانطباعية الأدبية بالمضمون الأدبي من خلال تأثير الأديب

الانطباعي على القارىء.

## الجزور الفكرية والعقائدية:

= إن العالم الحديث وما يتضمنه من أنانية فردية، وذاتية غير أخلاقية هو الذي أفرز مذهب الانطباعية حيث فرض على الفرد العزلة، فأصبحت أفكاره تدور حول ذاته، وليس العالم عنده سوى مجموعة من المؤثرات الحسية العصبية، والانطباعات والأحوال النفسية، ولا يهمله الاهتمام بالعالم وإصلاحه أو تغييره إلى الأفضل.

## الانتشار وأماكن النفوذ:

بدأت الانطباعية في فرنسا، ثم انتشرت في أوروبا.. وهي اتجاه يدخل في جميع المدارس الأدبية، حيث الانطباع عنصر أولي في أي عمل فني، ولكنه ليس كل شيء.. ولذلك اندثرت عندما اقتصر على فكرة أن الانطباع هو الهدف الوحيد والمادة الخام التي يتشكل منها أي عمل فني.

## ويتضح مما سبق :

أن الانطباعية أو التأثيرية مذهب(\*) أدبي فني ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، ومضمونه اعتبار الانطباع الشخصي والإحساس، بمثابة الأساس في التعبير الفني والأدبي، بحيث تكمن قيمة العمل الأدبي في نوعية الانطباعات التي يتركها هذا العمل في نفس القارىء، الأمر الذي يستلزم تبني الأديب أو الفنان لهذه الحقيقة، فالإحساس وليس العقل(\*) والتفكير، هو معيار وجود الإنسان وفق هذا المذهب، وكل معرفة لا يسبقها إحساس بها فهي معرفة غير مجدية، والعبرة بمضمون العمل الفني وليس بشكله، ولا يعبأ هذا المذهب بإصلاح أحوال الناس أو تغيير العالم إلى الأفضل. ومن هنا كانت الثغرات الأخلاقية والاجتماعية في هذا المذهب الأدبي ذات أثر كبير على كل من يطلع على نتاجه دون أن يكون ملماً سلفاً بفكرته تلك ولأن الفنان الانطباعي غير ملتزم إلا بالرؤية الحسية وتصوير ما انطبع على حواسه حتى لو لم يره الآخرون، وحتى لو عارضت انطباعاته القيم السامية وأدت من ثم للإضرار بالناس.

## الوجودية

### التعريف :

= الوجودية مذهب (\*) فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر مذهب استقر في الآداب الغربية في القرن العشرين.

= ويركز المذهب على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه، ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن

يختار القيم التي تنظم حياته.

## التأسيس وأبرز الشخصيات:

= دخل المذهب الوجودي مجال الأدب على يد فلاسفة فرنسيين: هم جبرييل مارسيل المولود عام 1889م. وقد أوجد ما أسماه الوجودية المسيحية(\*)، ثم جان بول سارتر الفيلسوف والأديب الذي ولد 1905م. ويعد رأس الوجوديين الملحدين والذي يقول: إن الله خرافة ضارة. وهو بهذا فاق الملحدين السابقين الذين كانوا يقولون إن الله خرافة نافعة.. - تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً - ومن قصصه ومسرحياته: الغثيان، الذباب، الباب المغلق.

= ومن الشخصيات البارزة في الوجودية: سيمون دي بوفوار وهي عشيقه سارتر. التي قضت حياتها كلها معه دون عقد زواج تطبيقاً عملياً لمبادئ الوجودية التي تدعو إلى التحرر من كل القيود المتوارثة والقيم الأخلاقية.

## الأفكار والمعتقدات:

= الوجود اليقيني للإنسان يكمن في تفكيره الذاتي، ولا يوجد شيء خارج هذا الوجود ولا سابقاً عليه، وبالتالي لا يوجد إله(\*) ولا توجد مثل ولا قيم أخلاقية متوارثة لها صفة اليقين، ولكي يحقق الإنسان وجوده بشكل حر فإن عليه أن يتخلص من كل الموروثات العقدية والأخلاقية.

= إن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية مطلقة.

= الالتزام في موقف ما - نتيجة للحرية(\*) المطلقة في الوجودية - من مبادئ الأدب الوجودي الرئيسية.. حتى سميت الوجودية: أدب الالتزام أو أدب المواقف.. أي الأدب الذي يتخذ له هدفاً أساسياً أصحابه هم الذين يختارونه. وبذلك جعلوا القيمة الجمالية والفنية للأدب بعد القيمة الاجتماعية الملزمة.

= ولقد نتج عن الحرية(\*) والالتزام في الوجودية، القلق والهجران واليأس:

- القلق نتيجة للإلحاد(\*) وعدم الإيمان بالقضاء والقدر(\*).. ونبت القيم الأخلاقية والسلوكية.

- والهجران الذي هو إحساس الفرد بأنه وحيد لا عون له إلا نفسه.

- واليأس الذي هو نتيجة طبيعية للقلق والهجران، وقد حاول سارتر معالجة اليأس بالعمل، وجعل العمل غاية في ذاته لا وسيلة لغرض آخر، وحسب الوجودي أن يعيش من أجل العمل وأن يجد جزاءه الكامل في العمل ذاته وفي لذة ذلك العمل.

## الجنور الفكرية:

= ترجع بذور مذهب(\*) الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركا جورد 1813 - 1855م وقد نمى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام 1889م، وكارك يسبرز المولود عام 1883م.



وقد أكد هؤلاء الفلاسفة أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات.

= والفكر الوجودي لدى كيركاجورد عميق التدنن، ولكنه تحول إلى ملحد إالحالداً صرلحاً لدى سارتر.

- ومهما حاول بعض الوجوديين العرب، وغيرهم، تزئبن صورة الوجودية، إلا أنها ستبقى مذهباً هداماً للأديان والعقائد والقيم الأخلاقية.

## أماكن الانتشار:

= انتشرت الوجودية الملحدة في فرنسا بشكل خاص، وكانت قصص ومسرحيات سارتر من أقوى العوامل التي ساعدت على انتشارها.

## ويتضح مما سبق:

أن الوجودية مذهب فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر المذاهب الأدبية التي استقرت في الأداب الغربية في القرن العشرين ويرى أن الوجود الإنساني هو الحقيقة اليقينية الوحيدة عند الوجوديين، بحيث إنه لا يوجد شيء سابق على الوجود الإنساني كما أنه لا يوجد شيء لاحق له، ولذا فإن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية مطلقة. وقد أفرز هذا المذهب (\*) أموراً عديدة منها القلق والياس نتيجة للإلحاد وعدم الإيمان وهما من ركائز هذا المذهب. لذا يجب أن يعي الشباب المسلم حقيقة هذا المذهب وهو يتعامل مع إفرازاته.

ولا شك أن الإسلام يرفض الوجودية بجميع أشكالها ويرى فيها تجسيدا للإلحاد (\*) كما أن قضايا الحرية (\*) والمسؤولية والالتزام التي تدعو إليها الوجودية غير مقيدة بأخلاق (\*) أو معتقدات دينية. وهي تنادي بأن الإنسان لا يدري من أين جاء ولا لماذا يعيش وهذه جميعها أمور محسومة في الإسلام وواضحة كل الوضوح في عقل وضمير كل مسلم آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً (\*) نبياً (\*) وقدوة وإماماً.

## العبثية

### التعريف :

العبثية مدرسة أدبية فكرية، تدعي أن الإنسان ضائع لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يعد لأفكاره مضمون وإنما هو يجتر أفكاره لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي، نتيجة للرجبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان حيث انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة، وتحول الناس إلى تروس في هذه الآلة الاجتماعية الكبيرة. وجاءت مدرسة العبث كمرآة تعكس وتكبر ما يعاني منه إنسان النصف الثاني من القرن العشرين عن طريق تجسيده في أعمال مسرحية ورواية شعرية، لعله ينجح في التخلص من هذا الانفلات في حياته ويفتح الطريق أمام ثورة هائلة في الإمكانيات ومن التجديد في وسائل التعبير فيتولد لديه

الانسجام والفهم لما يحدث.

## التأسيس وأبرز الشخصيات:

= نشأ مذهب (\*) العيب في الأدب الأوروبي وانتقل إلى الآداب العالمية المعاصرة بصفة عامة، والدول التي عانت من الحرب العالمية الأولى والثانية بصفة خاصة، وهي الدول التي فقدت ثقافتها في مجرد المسلك العقلي المنطقي الذي يمكن أن يدمر في لحظات كل ما يبينه الإنسان من مدنية عندما تحكمه شهوة السيطرة والتدمير، كما فعل هتلر في الحرب العالمية الثانية.

= ومن العيب التفتيش عن معنى للسلوك الإنساني، في رأي أصحاب مذهب العيب؛ فإن الآلة التي اخترعها الإنسان قد سيطرت عليه، وأصبح هو نفسه ترساً فيها، مما أدى إلى إحساسه بالعيب والضياع في المضحك المؤلم.

= ومن أبرز شخصيات مذهب العيب الفرنسيين:

- صامويل بيكيت 1906م 000 الرائد الأول لمذهب العيب، وقد ألف في جميع الأشكال الأدبية، ومنح جائزة نوبل عام 1969م.

- أوجين يونسكو 1912-0000 وهو كاتب فرنسي ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

## الأفكار والمعتقدات:

= يمكن إجمال أفكار ومعتقدات مذهب (\*) العيبية الأدبي والفكري فيما يلي:

- انعدام المعنى والمضمون وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر وذلك نتيجة ما قيل إنه الفراغ الروحي والابتعاد عن الإيمان الذي لا يكون للحياة معنى وغاية بدونه.

- إن الآلة التي سيطرت على الإنسان في المدنية الغربية، أدت إلى تحلل المجتمع وتفككه ولم يعد هناك روابط أسرية أو اجتماعية.

- إن تصوير الحياة المعاصرة وما فيها من تشتت وفقدان للرؤية الواضحة ورتابة مملّة، وقلق وعدم أمان، يحول الحياة إلى وجود لا طعم فيه ولا معنى.

- التأثر بأراء فرويد في علم النفس التحليلي وما فيه من إبهامات وأحلام وخيالات وأوهام.

- الخوف والرغبة من الكون، وهذا الخوف يقضي على كل تفكير عقلائي متماسك.

إتباع أسلوب الألغاز والغموض في التعبير، حيث لا يفهم النقاد ما ينتجون من أدب وشعر.

## الجزور الفكرية والعقائدية:

= تعد مدرسة السريالية الفرنسية الأساس لمذهب العيب، وذلك لما تحويه من شطحات العقل الباطن، وهلوسة عالم الأحلام الزاخر بالهواجس والألام والآمال.

= كما تعد المدرسة الرمزية من جذور مذهب العبث وما تحويه من صور مشوشة مضطربة تجمع بين الجمال والقبح والأسطورة والواقع، كذلك فإن آراء فرويد النفسية وما تحويه من إichاءات وأحلام نتيجة تحليله النفسي للمرضى والمعتوهين تعتبر من الجذور الفكرية لمذهب العبث.

### أماكن الانتشار:

بدأ مذهب العبثية في فرنسا ثم انتشر في كافة أوروبا والعالم الغربي خاصة.

### ويتضح مما سبق :

أن العبثية مدرسة أدبية فكرية لا تقيد نفسها بكثير من القيم الإنسانية، ولا ترى أن هناك أي مضمون حقيقي وراء السلوك الإنساني، الذي تحلل في المجتمع الغربي بسبب سيطرة الآلة على مسارات الحياة حتى أنها جعلت الإنسان ترساً في هذه الآلة الضخمة. وقد تأثرت هذه المدرسة بآراء فرويد في علم النفس التحليلي وما فيه من أحلام وأوهام وخيالات، وترى وجوب إتباع أسلوب الغموض والألغاز في التعبير بحيث لا يفهم النقاد نتاج هذه المدرسة التي يقوم فكرها على أساس الخوف من الكون والرغبة منه وهو خوف يقضي على كل تفكير عقلائي. ومع كل ما تقدم فإنها ترجع ضياع الإنسان في الغرب إلى الفراغ الروحي، ولكنها لا تلزم نفسها بأية قيم دينية سلفاً، ولذا وجب النظر إلى نتاجها الفكري بحذر واهتمام.

## الميتافيزيقية

### التعريف :

الميتافيزيقية(\*) اتجاه أدبي وفلسفي يبحث في ظواهر العالم بطريقة عقلية وليست حدسية صوفية ويمزج العقل بالعاطفة وابتدع أساليب أدبية تجمع بين المختلف والمؤتلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية.

### التأسيس وأبرز الشخصيات:

= جون دن 1572 – 1631م الشاعر الإنكليزي الذي أسس المدرسة الميتافيزيقية في الشعر الإنكليزي مع باقي الشعراء في القرن السابع عشر من أمثال، جون هيربرت، وهنري فون، وروبرت كرشوا وأندرو مارفيل وإبراهام كاولي، وهم الشعراء الذين ساروا على نهج جون دن في أسرار الوجود.

= جون درايدن: شاعر إنكليزي نقد جون دن، وقال إن شعره مفعم بالفلسفة العويصة الفهم... والشعر المرهف الرقيق لا يستطيع حمل الأفكار الفلسفية الثقيلة.

= ه. ج. س. جريرسون: ناقد إنكليزي من الكلاسيكية الحديثة، أحيى المدرسة الميتافيزيقية في كتابه عن الأشعار الميتافيزيقية سنة 1921م.

= ت. س. إليوت ناقد وأديب إنكليزي، أحيى الميتافيزيقية بعد أن كادت أن تندثر في كتابه الشعراء الميتافيزيقيون ودراسة خاصة عن الشاعر الميتافيزيقي أندرو مارفيل سنة 1921م.

= وفي مجال الفلسفة هيجل وبرادلي وصمويل الكسندر وغيرهم.

### الأفكار والمعتقدات:

= محاولة تفسير الظواهر الميتافيزيقية، بأساليب تجسدية تقرب بينها وبين الظواهر الطبيعية كتشبيه الحب بعلم التجميع وتشبيه الروح بقطرة الدل.

= إن الإنسان يستطيع أن يقترب من القوى الميتافيزيقية عندما يجدها متجسدة في أعمال مسرحية وشعرية وروائية.

= الميتافيزيقيا(\*) في مجال الفلسفة تعتمد على العقل(\*) في إنشاء نظرية إلهية – عن الوجود الإلهي – بديلة عن التثليث (\*)، من ذلك فلسفة (\*) هيجل الروح المطلق وكلها مذاهب يعارضها التوحيد الخالص معارضته للصليبية نفسها.

= الشعر الميتافيزيقي يعد نموذجاً لتحليل الشعور الإنساني وليس لتجسيده والبحث عن الفلسفة الكامنة وراء الحب بكل أنواعه وليس تعبيراً عن التجربة النفسية التي يخوضها المحبون.

= تؤكد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية، والشعر هم خير أداة

## السريالية

### التعريف :

= السريالية "أي ما فوق الواقعية أو ما بعد الواقع" هي مذهب (\*) أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواقعية، وزعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأعظم اتساعاً، وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية، ويجب تحرير هذا الواقع وإطلاق مكبوتته وتسجيله في الأدب والفن. وهي تسعى إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية. وهذه المضامين تستمد من الأحلام؛ سواء في اليقظة أو المنام، ومن تداعي الخواطر الذي لا يخضع لمنطق السبب والنتيجة، ومن هواجس عالم الوعي واللاوعي على السواء، بحيث تتجسد هذه الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية. وهكذا تعتبر السريالية اتجاهاً يهدف إلى إبراز التناقض في حياتنا أكثر من اهتمامه بالتأليف.

يعتبر مسرح العبث الابن الشرعي للسريالية.

### التأسيس وأبرز الشخصيات :

= في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أصابت الإنسان الأوروبي صدمة هزت النفوس وبلبلت الأفهام، نتيجة للدمار الكامل وإزهاق الأرواح بلا حساب، فنشأت نزعة جارية للتحلل من القيم الأخلاقية(\*)، وتحرير الغرائز والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وامتدت هذه النزعة إلى الفن والأدب مما أدى إلى ظهور المذهب المعروف بالسريالية في فرنسا سنة 1924م التي بدأت بالسريالية النفسية، ثم دخلت السريالية مجالات الأدب والاجتماع والاقتصاد(\*) والفن، ومن أبرز الشخصيات السريالية:

- أندريه بريتون 1896 – 1966م وهو عالم نفس وشاعر فرنسي يعده النقاد مؤسس السريالية.

- ثورتون وأيلور وهو كاتب مسرحي، ألف مسرحية جلد الإنسان بين الأسنان سنة 1942م، وهي مسرحية تنجح إلى الخيال والعنف الناتج عن اللاشعور عند شخصيات المسرحية.

- سلفادور دالي ولد سنة 1904م وهو رسام إسباني، ويعد من أبرز دعاة السريالية، وقد أضاف إليها إضافات كثيرة أبرزها أسلوبه الذي تميز به الذي دعاه "النقد المبني على الهلوسة" وكان يؤكد دائماً أنه أقرب إلى الجنون منه إلى الماشي نوماً، والمعرفة عنده تقوم على التداعي والتأويل.

### الأفكار والمعتقدات:

= يمكن إجمال أفكار ومعتقدات السريالية فيما يلي:

- الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية: مثل الأحلام والأخيلة.

- الكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، والبعيدة عن رقابة العقل، بدعوى أن الكلمات في اللاوعي لا تمارس دور الشرطي في رقابته على الأفكار، ولهذا تنطلق هذه الأفكار نشيطة جديدة.

- إهمال المعتقدات والأديان(\*) والقيم الأخلاقية(\*) السائدة في المجتمع.

- التركيز على الجانب السياسي والبحث عن برنامج وضعي (مادي ومحسوس) يصلح لتطوير المفاهيم الاجتماعية، لذلك تودد السرياليون للحزب الشيوعي، وبذلوا جهوداً كبيرة من أجل توسيع مجال تطبيق المادية الجدلية الماركسية(\*).

- الثورة لتغيير حياة الناس، وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القائم، وشملت الثورة ثورة على اللغة التقليدية، وإحداث لغة جديدة.

- تزييت السريالية بأزياء مختلفة، فتارة تظهر كمجموعة من السحرة، وتارة تبدو كعصابة من قطاع الطرق، وتظهر تارة أخرى كأعضاء في خلية ثورية فهي حركة سرية هدفها تفويض الوضع الراهن.

- ويعد الغموض في التعبير الأدبي أو الفني في مجال الرسم، هدفاً ثابتاً للسرياليين.

## الجذور الفكرية والعقائدية:

= تأثرت السريالية بأراء فرويد عالم النفس اليهودي في تحليله للنفس الإنسانية وخاصة تلك التي تتحدث عن اللاشعور والأحلام، والكتب ودعوته إلى تحرير الغرائز الإنسانية والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وإشباع الغرائز والرغبات إشباعاً حراً حتى لا تصاب بالأمراض النفسية كما يدعي. وهذه الآراء تتلاءم مع دعوتهم إلى التحلل الأخلاقي في المجتمع البشري.

= وكذلك تأثرت السريالية بالفكر الماركسي الشيوعي ودعوته إلى الثورة(\*) لتغيير المجتمع، واستخدام العنف في سبيل ذلك.. وبظهور المزاج الثوري حلت الفوضى السياسية والصراع الكامل محل النظام والانسجام.

= وقد تأثرت السريالية أيضاً بحركة سبقتها تُدعى الدادية التي ولدت في زيورخ بسويسرا سنة 1916م. وهي حركة فوضوية تكفر بالقيم السائدة والمعتقدات والتقاليد الاجتماعية وتدعو إلى العودة إلى البداية. ورائد هذه الحركة هو ترستان تزارا الذي يصفه كاتب أوروبي بأنه "المروّج للفوضوية الفنية والاجتماعية".

ولذا عد النقاد أن السريالية وريثة هذه الحركة الدادية في أفكارها وتوجهاتها وأسلوبها.

## = بداية السريالية ونهايتها:

- بدأت السريالية بمجال النفس البشرية، ثم دخلت مجالات الأدب والفكر والسياسة والاجتماع والفن، ثم اقتحمت بشذوذها الثوري مجال العقيدة الدينية والتقاليد الاجتماعية واللغة، وأثارت جدالاً عنيفاً بين أقصى الكاثوليكية في الغرب وأقصى الشيوعية في الشرق.

- وأخذت السريالية في الانكماش والتفوق بعد ربع قرن من نشوئها، وشعر دعايتها بعجزهم عن تحقيق أي هدف، ويعقم ثورتهم ضد القيم والمعتقدات الدينية، وإخفاقهم في إيجاد مسيحية(\*) جديدة، تخلص الإنسان من عذابه وضياعه - حسب زعمهم - وتحول عدد منهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشيوعية والإلحاد، وجُن بعضهم وأدخل المصحات العقلية والنفسية، وتحول البعض الآخر إلى العبثية في الأدب المعبر عن انعدام المعنى العام وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر.

- أما أفكارها ومبادئها فقد تبناها مذهب الحدائث الأدبي الفكري حيث صبت جميع جداول السريالية في مستنقعه الكبير.

وهكذا انتهت السريالية، المعبرة عن فقدان الإنسان الغربي العقيدة الصحيحة، واعتماده على ضلالات فرويد النفسية في اللاشعور والأحلام. هذه الضلالات التي أدت إلى التحلل الأخلاقي وإطلاق الغرائز من عقالها، مما أودى بها بعد ربع قرن من نشوئها.

## ويتضح مما سبق:

أن السريالية مذهب(\*) أدبي فني فكري غير ملتزم بالأديان(\*)، يهدف إلى التحلل من واقع الحياة الواعية، والرنو إلى واقع آخر هو واقع اللاوعي أو اللاشعور المكبوت في النفس البشرية، بحيث يتم تسجيل هذا الواقع في الأدب والفن، من خلال الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية والكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، وإهمال الأديان والمعتقدات والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، والتركيز على الجانب السياسي وإذكاء الثورة(\*) لتغيير حياة الناس وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القائم، وتقويض الوضع القائم في المجتمع. وكل تلك الخصائص والغايات تبرر مدى خطورة مثل هذا المذهب الأدبي على القيم الدينية.

## التطرف في المذاهب الأدبية الغربية

ارتبطت نشأة المذاهب الأدبية الغربية بحالات نفسية معيّنة، وبظروف سياسية واقتصادية واجتماعية خاصة، وعكست فلسفة واقع مرّت به الحضارة الغربية، وقد مثل أغلبها - في معظم الأحيان - حالات من التنازُم النفسي، وانعدام الإيمان واليقين، أو جحود آية ثوابت أو قطعيات يمكن أن يفيء إليها الإنسان لتكسبه الراحة والأمان

لقد شكك هذا الإنسان في الدين، والأخلاق والمثل والقيم الروحية جميعها، حتى بدا كالريشة في مهبّ الريح

الوطن، والعائلة، والأخلاق، والفن، والدين، والحرية، والأخوة: كانت قديماً جواباً للحاجات الإنسانية، وفي ":- يقول تزارا - ومثله كثيرون [1]" يومنا لم يبقَ منها إلا هيكل عظميٌّ من الاتفاقات والاعتبارات، هنالك عمل تهيديميٌّ كبير ينبغي أن يتمَّ، لا بد من الكُتس والتنظيف

وبدت المذاهب الأدبية الغربية وكأنها تنشأ ردّاً أفعال على أفكار سابقة، رغبة - كما سبق أن ذكرنا - في مجرّد التغيير، بدا كل مذهب جديد وكأنه ينقض ما قبله أو يسفّهه ويلغيه؛ فإذا ما كان الذي قبله في اليمين، انحاز هو إلى اليسار

لقد كان التطرف سمّة واضحة في كل مذهب من المذاهب الغربية، وسُرعان ما كان يتبيّن غواؤه بسبب هذا التطرف، فتظهر الحاجة إلى غيره، فيظهر مذهب جديد يكون ردّة فعل على ما سبقه؛ ولذلك يتسم مثله بالتطرف والغلو

إن كل مذهب يتطرّف في اتجاهه حتى يصل إلى زمن يحسُّ الناس فيه بأنه ليس كافياً للتعبير، ويمضون يبحثون " يقول عز الدين إسماعيل [2]" عن أسلوب جديد

بالأزياء والتقليعات، ونفى أن يطلق عليها اسم مذاهب أو مدارس؛ إذ هي حركة تغيير "المذاهب" وقد شبّه العقّاد - رحمه الله - ما يسمّى "في الأدب وغيره نابعة من مجرد حب التغيير، وقد يسمّيها بعضهم مذاهب ومدارس، وليست هي من المذاهب والمدارس في شيء؛ وإنما التي تتغير مع الزمن، وقد تعود في صورة أخرى بعد فترة طويلة أو (الموضات) الأخرى أن تسمّى بالأزياء والجدائل العارضة [3]" قصيرة

وإن هذه الأمواج التي يلغي بعضها بعضاً ليست مما يطلق عليه اسم الاتجاه في الأدب العربي، ولا في غيره من " ثم يمضي العقّاد قائلاً ؛ لأن المدارس - كما يرى العقّاد- تُعلّم شيئاً، وهذه لا تعلّم شيئاً، ولا محلّ [4]" الأدب العالمية، وليست هي بالتيار الجاري في مجراه القويم [5]" فيها للتعليم، ولأن الفنون قواعد ومقاييس، وهذه تُبطل كل المقاييس

ويرى أنور الجندي - رحمه الله - أن مذاهب الأدب الغربي التي يحاول بعض النقاد محاكمة الأدب العربي إليها "ليست مذاهب؛ وإنما هي [6]"، والرومنتيكية وغيرها، وهي تتصل - في مجموعها - بتاريخ الأمم التي وضعت هذه المذاهب الكلاسيكية أسماء عصور،

### الثنائيات في مذاهب الأدب الغربي

بسبب تلك الظروف والعوامل التي ذكرناها، انطلق الفكر الغربي ومدارسه الأدبية ومناهجه النقدية من ثنائيات حادّة متصادمة، لا يقبل أحدها الآخر، ولا يعترف به، ولا يحاول أن يتعايش معه، بل يعمل جاهداً على نفيه؛ وهي لذلك ثنائيات ضدية عدائية، لا وسطية فيها ولا اعتدال، بل فيها غلو في الرأي، وتطرّف في النظر، إنها الأحاديّة التي طبعت - بشكل عام - المذاهب الأدبية والمناهج النقدية الغربية بطابع لا تحطّئه عين الباحث المدقّق

وقد أشار إلى ذلك مؤسس التفكيك الشهير جاك دريدا وهو ينتقد العقل الغربي؛ لقيامه على هذه الثنائيات، وإعطائها صفة القداسة، فهو - الفكر الغربي - قائم على ثنائية ضدية عدائية يتأسس عليها، ولا يقوم إلا بهذه الثنائية، كثنائية العقل/ العاطفة، العقل/ الجسد، الذات/ الآخر، المشافهة/ الكتابة، الرجل/ المرأة، وما إلى ذلك

وإن هذا الفكر دائماً يمنح الامتياز والوقية للطرف الأول، ويُلقي بالدونية والثانوية على الطرف الثاني، وهذا الانحياز للأول على الثاني [7]" التمرکز المنطقي" هو ما يسمّيه دريدا

إن المذاهب الأدبية الغربية تقوم حقّاً على تلك الثنائيات المتصادمة التي لا تتفق مع الوسطية الإسلامية، ولا تقوم على القصد والاعتدال، اللذين هما من سمات أي منهج قويم

وحسبنا في هذا المقام أن نضرب مثلاً واحداً من خلال المقارنة بين مدرستين نشأتا في القرن العشرين، حيث كان جموح الفكر الغربي أقلّ بكثير مما آل إليه الأمر بعد ذلك، وهاتان المدرستان هما: الكلاسيكية، والرومانسية

لقد كانت الرومانسية ثورة عارمة على كل ما كانت تنادي به الكلاسيكية، ونقضاً تاماً لجميع مبادئها وأصولها، وبسبب هذا التطرف في الثورة شكّ بعض الدارسين أن تكون الرومانسية أصلاً مذهباً أو مدرسة؛ لأن قواعد وأصولها لم تتجاوز مخالفة قواعد الكتابة الكلاسيكية، والخروج عليها، ولعلها أيضاً - بسبب قيامها على المخالفة وحدها - قدّمت تصوّرات غير متجانسة أحياناً، بل متناقضة في أحيان أخرى

كان يرى "أن الرومانسية تتخذ من الأشكال بقدر ما فيها من المؤلفين، وأنها تفلت من أيّ تعريف واضح "جيورني" ذكر بول فان تيجم أن [8]" محدّد دقيق

وانظر إلى أحادية النظرة التي وسّمت كلاً من هاتين المدرستين، حتى بدت مدرستين متناقضتين، لا سبيل لتوسط أو التقاء بينهما

عدت الرومانسية الإنسان وحده منبع القيم جميعاً، وجعلته جديراً بعناية الأدب، ومضت تُعنى بالفرد عناية فائقة، وتهتم بإبراز فرديته وشخصيته والاختلاف الذي يميّزه من غيره

وأصبح الرومنتيكي قادراً على طبع أدبه بطابعه الخاص بما يعبر عنه من عواطف يدفق بها قلبه، وصور يمج بها خياله

وفي مقابل هذه العناية بالفرد المتميز، كان الكلاسيكيون يُعَوّن بالفرد النموذج؛ بالإنسان عامة وبينما رفع الكلاسيكيون سلطان العقل والمنطق، وجعلوهما الحكم الأوحد، حتى راحوا يكبحون من أجلهما جماع المخيلة والعواطف، أصبح الرومنتيكي حراً في أن يطلق لخياله العنان، وأن ينطلق وراء اللامحدود والمطلق، ولا يحتكم إلا إلى العاطفة والحدس.

وفي حين أن الكلاسيكية مذهب يتقيد بالقواعد والتقاليد، تبدو الرومانسية مذهباً ينطلق حراً بلا قيود، ويفتح المجال واسعاً أمام الأصالة والخلق والإبداع.

وفي حين أمنت الكلاسيكية بالمحاكاة والتقليد، ثارت الرومانسية عليها، فلم تؤمن إلا بالإبداع وحده.

وإذا كانت الكلاسيكية تقيم وزناً كبيراً للشكل، فإن الرومانسية تفضّل العناية بالمضمون على العناية بالشكل في الأكثر الأعمّ.

وإذا كانت الكلاسيكية تعتقد أنها وصلت الحدّ الأعلى في الإتقان والكمال، فإن الرومانسية تؤمن بأنها نزوع إلى هذا الحدّ الأعلى [9] وحسب.

[10] "وقد بلغ هذا التناقض بين الكلاسيكية والرومانسية حدّ أن يرى واحد مثل غوته أن الفرق بينهما "كالفرق بين السقيم والسليم

وإذا كان التطرف والغلو سمة لا تخفى في مذاهب الأدب الغربي، فإن الوسطية هي المنهج الذي ندعو إليه في أدب عربي إسلامي، وهذه الوسطية في الأدب، تعني عندئذٍ عدم التقريط بقيمة أي عنصر من عناصر العمل الأدبي لحساب عنصر آخر، كأن نُعنى بالشكل ونُهمل المضمون أو العكس، أو أن نُعنى بالعقل ونُهمل العاطفة والخيال أو العكس، أو نُعنى بالقديم ونُهمل الحديث أو العكس، وما شابه ذلك مما وقعت فيه المذاهب الأدبية الغربية بشكل خاص.

إن هذه الوسطية العربية الإسلامية في الأدب تسعى عندئذٍ إلى استثمار الحُسن الموجود في كل عنصر من عناصر العمل الأدبي، وتوظيفه في الإبداع؛ ليكون هذا الإبداع خيراً إيجابياً، فيه المتعة والفائدة، والجمال والنفعة، وما يخاطب العقل والحسّ والوجدان، وما يخاطب الروح والجسد، وما يخاطب بني البشر في جميع مستوياتهم.

ألا يكون عندنا - نحن المسلمين - مصاديماً لأي مبدأ من مبادئ عقيدتنا، أو يقدم مجاملة: **وإن الضابط لأي وسط يُسعى للوصول إليه هو** لهذا الطرف أو ذلك لتحقيق مآرب من نوع ما

وهذه الوسطية التي ننشدها في الأدب هي سبيل مواجهة التطرف الذي قام عليه الفكر الغربي، كما تجلّى ذلك في مذاهبه الأدبية المختلفة.

الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي: إيليا الحاوي: ص 213 [1]

الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل: ص 54 [2]

دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية؛ عباس محمود العقاد: ص 13 [3]

السابق: ص 14 [4]

السابق: ص 16 [5]

خصائص الأدب العربي: أنور الجندي: ص 18 [6]

دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي، وسعد البازعي: ص 54 [7]

الرومانسية في الأدب الأوروبي: بول فان تيجم: ص 12 / 1 [8]

انظر كتاب: الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث: عيسى يوسف بلاطة: ص 8 - 9 [9]

المصطلح في الأدب العربي: ناصر الحاني: ص 70 [10]